مؤلّفات شيخ الإسلام البَايَمْبُوْرِيِّ

٣

البرهان على استحباب سماع القرآن

لشيخ الإسلام العلّامة محمد مشاهد البَايَمْبُوْرِيِّ السِّلْهِتِيِّ

ولد سنة ١٣٢٨ وتوفّي سنة ١٣٩٠

رحمه الله تعالى

خرّج نصوصه وعلّق عليه

عبيد الله أسعد القاسميّ

خادم الحديث بالجامعة الإسلامية العربية بأميد نغر، حبيب غنج

طبع على نفقة

الشيخ المفتي محمد مجيب الرحمن حفظه الله تعالى

خادم الكتاب والسنة بالأكاديمية المدنية ودار العلوم بنيويورك/ الولايات المتحدة

البرهان

على استحباب سماع القرآن

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
صفر ١٤٤٤ هـ = أَيْلُول ٢٠٢٢ م

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على رسوله سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وأزواجه وذرّيّته أجمعين، وبعد: فيقول الأحوج إلى ربّه الكريم ابن العليم محمّد مشاهد البَايَمبُوْرِيُّ(١) السِّلْهِتِيُّ من خُدّام الأحاديث النّبويّة حالًا في دار الحديث كنائي غهات، سلهت، الباكستان الشرقي(٢): إنّ هذه أدلّة لاستحباب مجالس الذّكر سيّمًا مجالس القرآن الّتي راجت في ديارنا بفضل الله تعالى وكرمه، من الكتاب والسّنّة وأقوال كبار علماء الأمّة، حشرنا الله معهم.

ومحصّل هذا المجلس أنّه تجتمع جماعة من العلماء أكثرهم من أرباب السّلوك، فيجتمع جماعة من العوامّ الّذين لهم شَغَفٌ بالقرآن المجيد، وتعلّق تامّ بالعلماء الكرام، فيقوم أحد من عباد الرّحمن فيقرأ عليهم القرآن الكريم، فكلّهم يستمعون له وينصتون، جازِمين بأنّه يُتلى عليهم كلام الله، وأنّه حبل الله المتين، وأنّ التّعلق به بأيّ وجه كان هو التّعلق به تعالى، وأنّه سبب لنزول الرّحمة وورود السّكينة وهبوط الملائكة، والجلساء كلّهم متساوية في هذا القدر من الجزم.

وأما الخوّاص منهم فيتفاضلون على ذلك بالخوض في لجّة التّوحيد، واستخراج لآلي القرآن المجيد، والمحادثة مع الحبيب الرّقيب، والمسامرة والمناجاة معه، ولهم حال ومعاملة مع الله في هذا المجلس لا يعرف غيره، غير أنّهم يرى منهم في الظّاهر أنّهم إذا

---

(١) في الأصل: زيادة "ثمّ".

(٢) اعلم أن أسماء جميع البلدان والأماكن مؤنّثة إلّا ما كانت مشتقّة من اسم جبل أو قصر. يقول سعيد بن إبراهيم البغداديّ: وأسماء البلدان كلّها مؤنّثة، إلّا ما اشتقّ منها من اسم جبل أو قصر فإنّه مذكّر، نحو: واسط اسم قصر، ودابق مرج، ومأرب وهو جبل، وكذا العراق والشّام والحجاز. وكذا ما كان في آخره ألف ونون من أسماء البلدان فهو مذكر، نحو حلوان وجرجان. فـ "باكستان" مذكّر، ولذا أتى صفته بالتّذكير. (كتاب المذكّر والمؤنّث ص ١، سعيد بن إبراهيم البغداديّ).

مرّوا بآيات الدّعاء يطلبون المعاودة والتّكرار من القارئ، فيشتغلون في التّضرّع والابتهال من الله فيكون ﴿وَيَزِيْدُهُمْ خُشُوْعًا﴾. (١)

وإذا مرّوا بآية رحمة يقفون ويطلبون الرّحمة من المولى الكريم، وإذا مرّوا بآية عذاب يستعيذون منه بالرّحمن الرّحيم(٢)، وتارةً يستعيذون من النّار، وتارةً يسألون الجنّة من الله تعالى، وتارةً يسبّحون الله تعالى، وتارةً يكبّرونه ويحمدونه.

وكلّ ذلك على وفق ما يتلى عليهم من آيات الله تعالى، وصفاته العُلى وأسمائه الحسنىٰ، تارةً يدعون سرًّا وتارةً جَهرًا، يُكثرون من البكاء والتّضرّع إليه تعالى.

وربّما يعتري بعضهم من الوجد ما يسقطه إلى الأرض فَيَخِرُّ مَغْشِيًّا عليه كأنّ روحه تطير إلّا أنّ هذا قليل، وأكثرهم أصحاب الضّبط وأصحاب البكاء الشّديد، وبعضهم أصحاب التّباكي والتّخشّع.

هل مثل هذا المجلس وأمثال هذه الأفعال جائز شرعا أم لا؟ وهل له ثبوت في الكتاب والسّنّة أم لا؟ وكيف هو عند علماء الحقيقة الجامعين بين ظاهر الشّريعة وباطنها.

الجواب بعون الله تبارك وتعالى: المذكور في السّؤال هو من لبّ الدّين الذي جاء به نبيّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم، والقرآن الكريم، وأحاديث النّبيّ الأمين صلّى الله عليه وسلّم طافحان بذكره. لو جمع الكلّ لاحتاج إلى جزئين عظيمين وصار مؤلَّفًا مستقلًّا.

وها أنا أذكر لكم اوّلًا بعض عبارات الحافظ ابن تيميَة – رحمه الله تعالى – فإنّه أشدّ النّاس مقالةً في التّمييز بين السّنّة والبدعة، كما أجمع عليه المحقّقون من هذه الأمّة بل قال بعضهم: إنّه من الغلاة في ذلك، فكلّ شيء يسلّم ابن تَيْمِيَةَ أنّه من السّنّة لا يخالفه أحد في ذلك كما هو المعروف بين كافّة العلماء شرقًا وغربًا.

---

(١) من سورة بني إسرائيل: ١٠٩.

(٢) في الأصل: "من الرّحمن"، وهذه زلّة قلم، لأنّ المستعاذ به تأتي عليه حرف "الباء" وعلى المستعاذ منه حرف "من". وهو المقرر.

ثمّ أذكر الدّلائل من الكتاب والسّنّة، ومن نصوص الأئمّة على غير ترتيب، وأوخّر التّرتيب لوقت آخر، إن وفّقني الله تعالى.

قال الحافظ ابن تَيْمِيَةَ رحمه الله تعالى في كتابه "الفرقان بين أولياء الرّحمٰن وأولياء الشّيطان" رادًّا على المُتَصَوِّفَة القائلين بجواز الغناء والملاهي(١) ما نصّه: ومن أعظم ما يقوّي الأحوال الشّيطانيّة، سماع الغناء والملاهي، وهو سماع المشركين.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾(٢) قال ابن عبّاس وابن عمر رضي الله عنهم وغيرهما من السّلف: التّصدية: التّصفيق باليد، والمكاء: مثل الصّفير، فكان المشركون يتّخذون هذا عبادة.

سماع النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم للقرآن ومدح الله لهذا النّوع من السّماع

أمّا النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه، فعبادتهم ما أمر الله به من الصّلاة والقراءة والذّكر ونحو ذلك، والاجتماعات الشّرعيّة، ولم يجتمع النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه على استماع غناء قطّ: لا بكفّ، ولا بدفّ، ولا تواجد، ولا سقطت بردته، بل كلّ ذلك كذب باتّفاق أهل العلم بحديثه صلّى الله عليه وسلّم.

وكان أصحاب النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم إذا اجتمعوا، أمروا واحدًا منهم أن يقرأ والباقون يستمعون. وكان عمر بن الخطّاب رضي الله عنه يقول لأبي موسى الأشعريّ: ذَكِّرْنَا رَبَّنَا فَيَقْرَأُ وَهُمْ يَسْتَمِعُوْنَ. (١)

---

(١) كان الإمام الحافظ ابن تيمية الحفيد رحمه الله تعالى شديدا على المُتَصَوِّفَة الغلاة الضالّين المضلّين، لا على الّذين يتمسّكون بالكتاب والسّنّة. وكان قائلا بالإحسان (التّصوف) الخالص المأخوذ من الكتاب والسّنّة. وللزّيادة في المعلومات فليراجع "موقف أئمّة الحركة السّلفيّة من التّصوّف والصّوفيّة" للشّيخ عبد الحافظ المكّيّ رحمه الله تعالى، و"موقف الإمام ابن تيمية من التّصوّف والصّوفيّة" للدّكتور أحمد محمّد البنانيّ.

(٢) من سورة الأنفال: ٣٥.

ومرّ النّبيّ صلّى الله بأبي موسى الأشعريّ وهو يقرأ فقال له: مررت بك البارحة وأنت تقرأ، فجعلت أستمع لقراءتك، فقال: «لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْتَمِعُ لَحَبَّرْتُهُ لَكَ تَحْبِيرًا» أي لحسّنته لك تحسينًا(٢). كما قال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «زَيِّنُوْا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ». (٣)

وقال صلّى الله عليه وسلّم: «لَلَّهُ أَشَدُّ أُذُنًا – أي استماعًا – إِلَى الرَّجُلِ الْحَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ مِنْ صَاحِبِ الْقَيْنَةِ إِلَى قَيْنَتِه»(٤). وقال صلّى الله عليه وسلّم لابن مسعود: اقْرَأْ عَلَيَّ. قَالَ: قُلْتُ: أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي. قَالَ: فَقَرَأْتُ النِّسَاءَ حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [سورة النساء :٤١]. قَالَ لِي: حَسْبُكَ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ مِنَ الْبُكَاءِ.(٥)

ومثل هذا السّماع هو سماع النّبيّين وأتباعهم، كما ذكر الله ذلك في القرآن فقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾(٦). وقال تعالى في أهل المعرفة: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ

---

(١) ينظر: مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية (١: ٣١٨)، إحياء التراث العربي.

(٢) صحيح البخاريّ: ٥٠٤٨، صحيح مسلم: ٧٩٣. سيأتي هذا الحديث في الكتاب.

(٣) ينظر: مجموعة الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٢: ٢٢٩).

(٤) انظر: سنن ابن ماجه | كِتَابٌ: إِقَامَةُ الصَّلَاةِ وَالسُّنَّةُ فِيهَا | بَابٌ: فِي حُسْنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ، رقم الحديث: ١٣٥٠، والمسند للإمام أحمد (٣٩: ٣٧٢)، رقم الحديث: ٢٣٩٤٧.

(٥) صحيح البخاري، الرقم: ٥٠٥٥.

(٦) من سورة مريم: ٥٨.

أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (١)

ومدح سبحانه أهل هذا السّماع بما يحصل لهم من زيادة الإيمان، واقشعرار الجلد، ودمع العين، فقال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾. (٢)

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾. (٣)

إلى أن قال الحافظ ابن تيمية مالّبه: فمن كانت مواجيده تنقص عند سماع القرآن وتقوى عند سماع مزامير الشّيطان. فيرقص ليلًا طويلًا، وهو يبغض سماع القرآن، وينفر عنه ويتكلّفه، ليس له فيه محبّة ولا ذوق، ولا لذّة وجده، ويحبّ سماع المكاء والتصّدية ويجد عنده مواجيد.

فأحواله شيطانيّة وهو ممّن يتناوله قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾.(٤) فالقرآن هو ذكر الرّحمن. انتهى كلام ابن تيميَة من كتابه "الفرقان". (٥)

---

(١) من سورة المائدة: ٨٢.

(٢) من سُوْرَة الزُّمَر: ٢٣.

(٣) من سُوْرَة الأنفال: ٢-٤.

(٤) من سُوْرَة الزخرف: ٣٦.

(٥) الفرقان بين أولياء الرّحمن وأولياء الشّيطان، ص ١٨٣-١٨٧، تخريج: عبد القادر الأَرْنَاؤُوْطُ، مكبتة البيان دِمَشْق. كانت الآيات القرآنية في الأصل ناقصة، فأتممناها.

قال الإمام الغَزَالِيُّ في "الإحياء" مالّبه: الوَجْدُ الحقّ: هو ما ينشأ من فرط حبّ الله تعالى، وصدق إرادته، والشّوق إلى لقائه. وذلك يهيج بسماع القرآن الكريم، ويدلّ على ذلك الآيات الكثيرة من القرآن الكريم، والأحاديث الثّابتة عن النّبيّ الأمين صلّى الله عليه وسلّم. فكلّ ما يوجد عقيب السّماع بسبب السّماع في النّفس فهو وجد، فالطّمأنينة والاقشعرار والخشية ولِيْنُ القلب كلّ ذلك وجد.

وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾(١). وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.(٢) – فالوَجَلُ والخشوع وجد من قبيل الأحوال.

والمصنّف العلّام رحمه الله تعالى قد اختصر كلام الحافظ ابن تيمية رحمه الله تعالى في آخره كما صرّح هو نفسه بقوله: "مالّبه"، فعبارات الحافظ هكذا: وأيضا كرامات الأولياء لا بدّ أن يكون سببها الإيمان والتّقوى. فما كان سببه الكفر والفسوق والعصيان، فهو من خوارق أعداء الله، لا من كرامات أولياء الله، فمن كانت خوارقه لا تحصل بالصّلاة، والقراءة والذّكر، وقيام اللّيل، والدّعاء، وإنّما تحصل عند الشّرك، مثل دعاء الميت، والغائب، أو بالفسق والعصيان، وأكل المُحَرَّمَات كالحيات، والزّنابير، والخنافس، والدّم، وغيره من النّجاسات، ومثل الغناء، والرّقص، لا سيّما مع النّسوة الأجانب والمردان.

وحالة خوارقه تنقص عند سماع القرآن، وتقوى عند سماع مزامير الشّيطان، فيرقص ليلا طويلا. فإذا جاءت الصّلاة صلّى قاعدا، أو ينقر الصّلاة نقر الدّيك، وهو يبغض سماع القرآن، وينفر عنه، ويتكلّفه، ليس له فيه محبّة، ولا ذوق، ولا لذة عند وجده، ويحب سماع المكاء والتصدية، ويجد عنده مواجيد. فهذه أحوال شيطانية، وهو ممّن يتناوله قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَّعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطٰنًا فَهُوَ لَهُ قَرِيْنٌ﴾. فالقرآن هو ذكر الرّحمن. (الفرقان بين أولياء الرّحمن وأولياء الشيطان، ص ١٩٠).

(١) من سورة الأنفال: ٢.

(٢) من سورة الحشر: ٢١.

ثمّ أطال بذكر أحوال الصّحابة والتّابعين وأولياء هذه الأمّة عند سماع القرآن، ثمّ قال: وبالجملة لا يخلو صاحب القلب من وجد عند سماع القرآن، فإن كان القرآن لا يؤثر فيه أصلًا فمثله ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ۚ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾(١). انتهى كلام الغَزَالِيِّ ملخّصًا. (٢)

وقال الإمام الزَّبِيْدِيُّ في "الإتحاف" في مبحث سماع القرآن: قال صاحب "العوارف": وهذا السّماع هو سماع الحقّ الّذي لا يختلف فيه اثنان من أهل الإيمان، محكوم لصاحبه الهداية واللّبّ. قال الله تعالى: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾(٣)

وهذا سماع ترد حرارته على برد اليقين فتفيض العين بالدّمع، لأنّه تارةً يثير حزنًا وهو حارّ، وتارةً يثير شوقًا – إلى الحبيب الأعظم والمولى الجليل عند سماع كلامه العزيز – والشّوق أيضًا حارّ، وتارةً يثير ندمًا وهو حارّ أيضًا.

فإذا آثار السّماع هذه الصّفات من صاحب قلب مملوء ببرد اليقين أبكى وأدمع، لأنّ الحرارة والبرودة إذا اصطدما عصرا ماءً. فإذا أَلَمَّ السّماع في القلب فتارةً يخفّ إلمامه بالقلب فيظهر أثره في الجسد فيقشعرّ منه الجلد، وتارةً يعظم وقعه ويتصوّب أثره إلى فوق نحو الدّماغ فتندفق منه العين بالدّمع، وتارةً يتصوّب أثره إلى الرّوح، فتموج منه الرّوح موجًا يكاد يضيق منه نِطاق القلب، فيكون من ذلك الصّياح والاضطراب. وهذه كلّها أحوال يجدها أربابها من أصحاب الحال. – انتهى ما ذكره صاحب "الإتحاف" من "العوارف". (٤)

---

(١) من سورة البقرة: ١٧١.

(٢) إحياء علوم الدّين (٢: ٢٩٦)، دار المعرفة – بيروت.

(٣) من سورة الزمر: ١٧–١٨.

(٤) ينظر: إتحاف السّادة المتّقين بشرح أسرار إحياء علوم الدّين للزَّبِيْدِيِّ (٧: ٧٦٥)، العلمية، عوارف المعارف، ١٠٤– ١٠٥، للإمام شهاب الدين السهروردي البغدادي الشافعي، العلمية،

وقال العلّامة عبد ربّه المصْريُّ في "تفسير المنار"(١) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(٢) بعد ما أطال إطالة حسنة كما هو دأبه، ثمّ قال: ويجب على كل مؤمن بالقرآن أن يحرص على استماعه عند قراءته كما يحرص على تلاوته، وأن يتأدبّ في مجلس التّلاوة....(إلى أن قال): ويستحبّ البكاء مع القراءة والخشوع، وإلّا فالتّباكي والتّخشّع، وأن يستعيذ بالله قبلها، ويدعو الله في أثنائها بحسب معاني الآيات، كسؤال الرّحمة عند ذكرها والاستعاذة من العذاب عند ذكره....(إلى أن قال): واعلم أنّ قوّة الدّين وكمال الإيمان واليقين لا يحصلان إلّا بكثرة قراءة القرآن واستماعه، مع التّدبّر بنيّة الاهتداء.... (إلى أن قال): وما آمن أكثر العرب إلّا بسماعه وفهمه، ولا فتحوا الأقطار ومصروا الأمصار، واتّسع عمرانهم، وعظم سلطانهم، إلّا بتأثير هدايته، وما كان الجاحدون المعاندون من زعماء مكّة يجاهدون النّبيّ صلى الله عليه وسلم، ويصدّونه عن تبليغ دعوة ربّه إلّا بمنعه من قراءة القرآن على النّاس. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾. (٣)

الانتصار للأولياء الأخيار، ص ١٩٩، للإمام يوسف ابن الملا عبد الجليل الموصلي الحنفي (ت ١٢٤١ هـ)، العلمية، ومواهب الأدب المبرئة من الجرب في السماع وآلات الطرب (١: ١٥٠)، لجعفر بن إدريس الكتاني (ت ١٣٢٣ هـ)، العلمية.

(١) من الجدير بالذّكر أنّ "تفسير المنار" هو من إفادات الشّيخ محمّد عبده رحمه الله تعالى، جمعه تلميذه الشّيخ محمّد رشيد رضا رحمه الله تعالى ما تناثر ووقع في يده من دروس أستاذه في التّفسير، وهو تفسير جامع شامل بين صحيح المأثور وصريح المعقول، وازن بين ما عليه المسلمون اليوم وبين متطلّبات التّشريع الّذي جاء بها الكتاب.

(٢) فتح القدير الجامع بين فَنَّي الرّواية والدّراية من علم التّفسير (٢: ٣٢١).

(٣) من سورة حٰم السَّجْدَة: ٢٦.

ثمّ ذكر حديث جوار ابن الدَّغِنَة لأبي بكر رضي الله عنه مطوّلًا من "صحيح البخاريّ"(١) للاستشهاد به على ما كان من تأثير سماع القرآن عند مشركي العرب. وفي هذا الحديث: **ثُمَّ بَدَا لِأَبِي بَكْرٍ، فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، فَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَيَتَقَذَّفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ الْمُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ، وَهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ. وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَّاءً لَا يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ.** (٢)

---

(١) ينظر: صحيح البخاري | كِتَابٌ: الصَّلَاةُ | بَابُ الْمَسْجِدِ يَكُونُ فِي الطَّرِيقِ، الرقم: ٤٧٦.

(٢) لبسط الاطّلاعات في المعلومات نضيف جميع كلامه، وهو هكذا: ﴿**وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ **هذه دلالة على الطّريقة** الموصلة لنيل الرّحمة بالقرآن، والحصانة من نزغ الشّيطان، وهي الاستماع له إذا قرئ، والإنصات مدة القراءة، والاستماع أبلغ من السّمع، ولأنّه إنّما يكون بقصد ونيّة وتوجيه الحاسّة إلى الكلام لإدراكه، والسّمع ما يحصل ولو بغير قصد، والإنصات: السّكوت لأجل الاستماع حتّى لا يكون شاغلا عن الإحاطة بكلّ ما يقرأ.

فمن استمع وأنصت كان جديرا بأن يفهم ويتدبّر، وهو الّذي يرجى أن يرحم. والآية تدلّ على وجوب الاستماع والإنصات للقرآن إذا قُرِئَ، قيل: مطلقا سواء كانت القراءة في الصّلاة أو خارجها. وهو مرويّ عن الحسن البَصْرِيِّ، وعليه أهل الظّاهر، وخصّه الجمهور بقراءة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم في عهده، وبقراءة الصّلاة والخطبة من بعده. وزعم بعضهم أنّ الآية نزلت في خطبة الجمعة وهو غلط، فإنّ الآية مكّيّة، وصلاة الجُمُعَة شرعت بعد الهجرة. وقال بعضهم: إنّ الأمر للنّدب لا للوجوب، ولكن روي أنّهم كانوا يتكلّمون في الصّلاة فحرّم بتزولها الكلام فيها.

وحكى ابن المُنْذِرِ الإجماع على عدم وجوب الاستماع والإنصات في غير الصّلاة والخطبة. وذلك أنّ إيجابهماعلى كلّ من يسمع أحدا يقرأ، فيه حرج عظيم، لأنّه يقتضي أن يترك له المشتغل بالعلم علمه، والمشتغل بالحكم حكمه، والمبتاعان مساومتهما وتعاقدهما، وكلّ ذي شغل شغله. فأمّا قراءة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فكان بعضها تبليغا للتّنزيل، وبعضها وعظا وإرشادا، فلا يسع أحدا من المسلمين يسمعه يقرأ أن يعرض عن الاستماع أو يتكلّم بما يشغله، أو يشغل غيره عنه.

وهذا شأن المصلّي مع إمامه وخطيبه، إذ هو موضوع الصّلاة والواجب فيها، ولهذا استدلّوا بالآية على امتناع القراءة خلف الإمام في الصّلاة الجهريّة، واستثنى بعضهم الفاتحة لما ورد في الأحاديث الصّحيحة من أنّ الصّلاة لا تجزئ بدونها جمعا بين النّصوص. وورد في السّنة سكوت الإمام بقدر ما يقرأ المأموم الفاتحة، على أنّه إذا قرأ الفاتحة مع الإمام أو بعده آية آية لا يعدّ غير مستمع للقرآن، ولا غير منصت. وقد بيّنا تحقيق الحقّ في قراءة الفاتحة للمأموم كغيره في متمّمات تفسيرها من الجزء الأوّل.

ومن فروع طلب الاستماع والإنصات أنّ القارئ لا يطلب منه ترك قراءته للاستماع لقارئ آخر بل يختار لنفسه ما يراه خيرا لها من الأمرين، فقد يخشع بعض النّاس بقراءة نفسه، ويخشع آخر بالاستماع من غيره، أو من بعض القرّاء دون بعض، وإذا تعدّد القرّاء في مكان استمع كلّ حاضر لمن كان أقرب إليه أو لمن يرى قراءته أشدّ تأثيرا في نفسه. وما يفعله جماهير النّاس في المحافل الّتي يقرأ فيها القرآن بمصر كالمآتم وغيرها من ترك الاستماع والاشتغال بالأحاديث المختلفة مكروه كراهة شديدة، وتكون على أشدّها لمن كانواعلى مقربة من التّالي.

وأمّا تعمّد الإعراض عن السّماع للقرآن فلا يكاد يفعله مؤمن به، وكذلك رفع الصّوت بالكلام على صوت القارئ عمدا، فإذا كان الله تعالى قد أدّب المؤمنين مع رسوله صلّى الله عليه وسلّم بقوله ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِيْنَ اٰمَنُوْا لَا تَرْفَعُوْٓا اَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوْا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ اَنْ تَحْبَطَ اَعْمَالُكُمْ وَاَنْتُمْ لَا تَشْعُرُوْنَ﴾ (الحجرات: ٢). فرفع أصواتهم على صوت التّالي لكلامه عزّ وجلّ أولى بأن ينهى عنه، والأدب معه فوق الأدب مع كلام النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بالضّرورة.

وقد كان الصّحابة وغيرهم من فصحاء العرب يعبّرون عن سماع القرآن بقولهم: سمعت الله تعالى يقول كذا. ولا يجوز لقارئ أن يقرأ على قوم لا يستمعون له، فإن كان في المجلس كثير من النّاس يستمعون وينصتون، فشذّ بعضهم بمناجاة صاحبه بالجنب من غير تهويش على القارئ، ولا على المستمعين، كان الخطب في هذا هيّنا لا يقتضي ترك القراءة ولا ينافي الاستماع.

ويجب على كلّ مؤمن بالقرآن أن يحرص على استماعه عند قراءته كما يحرص على تلاوته، وأن يتأدّب في مجلس التّلاوة، وملاك هذا الأدب للقارئ ألّا يكون منه ولا من غيره، ولا من حال المكان ما يعد في اعتقاده أو في عرف النّاس منافيا للأدب. وقد ذكر الفقهاء في المسألة آدابا وأحكاما قد يختلف

بعضها باختلاف الاعتقاد والعرف، وصرّحوا بقراءة القرآن في كلّ حال من قيام وقعود واضطجاع ومشي وركوب فلا تكره في الطّريق نصّا، ولا مع حدث أصغر ونجاسة بدن وثوب، ولكن يمسك عن القراءة في حال الحدث، ويستحبّ الوضوء لها استحبابا، ولا سيّما للقارئ في المصحف، وتكره مع الجنازة جهرا، لأنّه بدعة، وفي المواضع القذرة بأن يجلس فيها للقراءة. وأمّا من مرّ بمكان منها وهو يقرأ، فلا يطلب منه ترك القراءة، وكذلك من عرض له الجلوس في بعض الملاهي غير المباحة لا يكره له التّلاوة سرّا، وصرّحوا بأنّه لا يكره له أن يتلو في بيته إذا كانت زوجه غير مستورة عورة الصّلاة.

وتستحبّ القراءة بالتّرتيل والتّغنّي بالنّغم المفيد للتّأثير والخشوع من غير تكلّف صناعيٍّ. وفي حديث أبي هريرة مرفوعا "مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ، يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ – زاد غيره في رواية – يَجْهَرُ بِهِ" رواه الشّيخان. و"أَذِنَ" هنا بمعنى استمع أو سمع، ومصدره بفتحتين، وروى أحمد وابن ماجه، وابن حبّان في "صحيحه" والحاكم والبيهقيّ عن فَضَالَةَ بن عبيد مرفوعًا "لَلَّهُ أَشَدُّ أُذُنًا لِلرَّجُلِ الْحَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ مِنْ صَاحِبِ الْقَيْنَةِ إِلَى قَيْنَتِهِ". والقينة: الأمّة المغنّية، وروى البخاريّ عن أبي هريرة مرفوعًا "لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ".

ويستحبّ البكاء مع القراءة والخشوع، وإلّا فالتّباكي والتّخشّع، وأن يستعيذ بالله قبلها، ويدعو الله في أثنائها بحسب معاني الآيات، كسؤال الرّحمة عند ذكرها، والاستعاذة من العذاب عند ذكره. وكان أنس رضي الله عنه يجمع أهله وولده عند ختم القرآن، فاستحبّوا الاقتداء به.

واعلم أنّ قوّة الدّين وكمال الإيمان واليقين لا يحصلان إلّا بكثرة قراءة القرآن واستماعه، مع التّدبّر بنيّة الاهتداء به، والعمل بأمره ونهيه. فالإيمان الإذعانيّ الصّحيح يزداد ويقوى وينمى، وتترتب عليه آثاره من الأعمال الصّالحة، وترك المعاصي والفساد بقدر تدبّر القرآن، وينقص ويضعف على هذه النّسبة من ترك تدبّره.

وما آمن أكثر العرب إلّا بسماعه وفهمه، ولا فتحوا الأقطار، ومصروا الأمصار، واتّسع عمرانهم، وعظم سلطانهم، إلّا بتأثير هدايته، وما كان الجاحدون المعاندون من زعماء مكّة يجاهدون النّبيّ ﷺ ويصدّونه عن تبليغ دعوة ربّه إلّا بمنعه من قراءة القرآن على النّاس. ﴿وَقَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لَا تَسْمَعُوْا لِهٰذَا الْقُرْاٰنِ وَالْغَوْا فِيْهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُوْنَ (حم السجدة: ٢٦).

وما ضعف الإسلام منذ القرون الوسطى حتّى زال أكثر ملكه إلّا بهجر تدبّر القرآن، وجعله كالرّقى والتّعاويذ الّتي تتخذ للتّبرك أو لشفاء أمراض الأبدان. وجلّ فائدة الصّلاة – وهي عماد الدّين –

بتلاوة القرآن مع التّدبّر والتّخشّع، فإذا زال منها هذا صارت عادة قليلة الفائدة. والآيات الدّالّة على ذلك فيه كثيرة تقدّم بعضها مع تفسيرها، فمن التّطويل في غير محلّه إيراد شيء منها هنا.

وإنّني أختم هذا البحث بأوّل حديث عائشة رضي الله عنها الطّويل في الهجرة من رواية "صحيح البخاريّ"، للاستشهاد به على ما كان من تأثير سماع القرآن عند مشركي العرب. قال حدّثنا يحيى بن بكير حدّثنا اللّيث عن عقيل قال ابن شهاب أخبرني عروة بن الزّبير أنّ عائشة رضي الله عنها زوج النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قالت: لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ قَطُّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ، وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرَفَيِ النَّهَارِ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً، فَلَمَّا ابْتُلِيَ الْمُسْلِمُونَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا نَحْوَ أَرْضِ الْحَبَشَةِ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرْكَ الْغِمَادِ لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ وَهُوَ سَيِّدُ الْقَارَةِ، فَقَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَخْرَجَنِي قَوْمِي فَأُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الْأَرْضِ، وَأَعْبُدَ رَبِّي. قَالَ ابْنُ الدَّغِنَةِ: فَإِنَّ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ لَا يَخْرُجُ، وَلَا يُخْرَجُ؛ إِنَّكَ تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، فَأَنَا لَكَ جَارٌ، ارْجِعْ وَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبَلَدِكَ.

فَرَجَعَ، وَارْتَحَلَ مَعَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ، فَطَافَ ابْنُ الدَّغِنَةِ عَشِيَّةً فِي أَشْرَافِ قُرَيْشٍ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَا يَخْرُجُ مِثْلُهُ وَلَا يُخْرَجُ، أَتُخْرِجُونَ رَجُلًا يَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَيَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَحْمِلُ الْكَلَّ، وَيَقْرِي الضَّيْفَ، وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ؟ فَلَمْ تُكَذِّبْ قُرَيْشٌ بِجِوَارِ ابْنِ الدَّغِنَةِ، وَقَالُوا لِابْنِ الدَّغِنَةِ: مُرْ أَبَا بَكْرٍ فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، فَلْيُصَلِّ فِيهَا، وَلْيَقْرَأْ مَا شَاءَ، وَلَا يُؤْذِينَا بِذَلِكَ، وَلَا يَسْتَعْلِنْ بِهِ ؛ فَإِنَّا نَخْشَى أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا، وَأَبْنَاءَنَا.

فَقَالَ ذَلِكَ ابْنُ الدَّغِنَةِ لِأَبِي بَكْرٍ، فَلَبِثَ أَبُو بَكْرٍ بِذَلِكَ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، وَلَا يَسْتَعْلِنُ بِصَلَاتِهِ، وَلَا يَقْرَأُ فِي غَيْرِ دَارِهِ، ثُمَّ بَدَا لِأَبِي بَكْرٍ فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، وَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ، وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَيَنْقَذِفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ الْمُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ، وَهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهُ، وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَّاءً، لَا يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ، وَأَفْزَعَ ذَلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

فَأَرْسَلُوا إِلَى ابْنِ الدَّغِنَةِ، فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا: إِنَّا كُنَّا أَجَرْنَا أَبَا بَكْرٍ بِجِوَارِكَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ، فَقَدْ جَاوَزَ ذَلِكَ، فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، فَأَعْلَنَ بِالصَّلَاةِ وَالْقِرَاءَةِ فِيهِ، وَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَانْهَهُ، فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَعَلَ، وَإِنْ أَبَى إِلَّا أَنْ يُعْلِنَ بِذَلِكَ فَسَلْهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْكَ ذِمَّتَكَ؛ فَإِنَّا قَدْ كَرِهْنَا أَنْ نُخْفِرَكَ، وَلَسْنَا مُقِرِّينَ لِأَبِي بَكْرٍ الِاسْتِعْلَانَ.

قال العلّامة الرّشيد في "حاشة تفسير المنار" في مبحث التّأثّرمن القرآن: وهو أن يتأثّر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتّصف به قلبه من الحزن والخوف والرّجاء وغيره.(١).....(إلى أن قال): وقد ورد في الحديث: اقْرَءُوا الْقُرْآنَ بِلُحُونِ الْعَرَبِ وأَصْوَاتِها، وَإِيَّاكُمْ ولُحُونَ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ وَأَهْلِ الْفسقِ، فَإِنَّهُ سَيَجِيءُ بَعْدِي قَوْمٌ يُرَجِّعُونَ بِالْقُرْآنِ تَرْجِيعَ الْغِنَاءِ وَالرَّهْبَانِيَّةِ – وَالنَّوْحِ، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، مفتونةٌ قُلُوبُهُمْ، وقلوبُ مَنْ يُعْجِبُهُمْ شَأْنُهُمْ. – رواه الطَّبَرَانِيُّ والْبَيْهَقِيُّ. (٢)

إلى أن قال: وأمّا القراءة على وجه التّحزين وهو أن يقرأ على وجه حزين يكاد يبكي مع خشوع وخضوع، فإن كانت خشوعًا وخضوعًا خالصًا لله فهو حسن. وكذا إن كان لتعويد النّفس على ذلك كما في الحديث الآتي، ولكنّ القبيح إذا كان تكلّفا

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَتَى ابْنُ الدَّغِنَةِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتَ الَّذِي عَاقَدْتُ لَكَ عَلَيْهِ، فَإِمَّا أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى ذَلِكَ، وَإِمَّا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيَّ ذِمَّتِي؛ فَإِنِّي لَا أُحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ الْعَرَبُ أَنِّي أُخْفِرْتُ فِي رَجُلٍ عَقَدْتُ لَهُ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَإِنِّي أَرُدُّ إِلَيْكَ جِوَارَكَ، وَأَرْضَى بِجِوَارِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. (صحيح البخاري: ٣٩٠٥).– تفسير المنار (٩: ٤٦١–٤٦٤)، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، (٩: ٥٥٢– ٥٥٧)، مطبعة المنار بمصر، و (٩: ٤٥٧– ٤٦٠)، العلمية.

(١) في الأصل: "ونحوه".

(٢) ينظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٧: ٢٥٢)، الرقم: ١١٦٩٣، للهيثميّ (ت ٨٠٧ هـ)، العلمية، ومجمع البحرين في زوائد المعجمين للهيثمي (٣: ٢٩٢)، الرقم: ٣٤٣٦، العلمية. قال ابن الأثير: اللُّحُون والأَلْحان: جَمْعُ لَحْن، وَهُوَ التَّطْرِيب، وتَرجِيع الصَّوْت، وتَحسين القِرَاءة، والشِّعر والغِنَاء. وَيُشْبه أَنْ يكُون أرادَ هَذا الَّذي يَفْعَله قُرَّاء الزَّمَان؛ مِنَ اللُّحُون التَّي يَقْرَأون بها النَّظَائر في المَحَافِل، فإنّ اليَهُود والنَّصارى يقْرأون كُتُبَهم نَحواً مِنْ ذَلِكَ.– النّهاية في غريب الحديث (٤: ٢٤٢). هذا الإسناد واه، فيه ثلاث علل. وللتّفصيل راجع: مجمع الزّوائد ومنبع الفوائد للهيثميّ (٧ :١٦٩)، والعلل المتناهية (١: ١١١).

يقصد به الرّياء والسُّمْعَةُ. وقد قال الله تعالى في العلماء الّذين يُتلى عليهم القرآن: وَيَخِرُّوْنَ لِلْاَذْقَانِ يَبْكُوْنَ وَيَزِيْدُهُمْ خُشُوْعًا. (١)

وكان النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم والصّحابة وغيرهم من السّلف يبكون لقراءة القران وسماعه، وما زال المؤمنون الخاشعون كذلك. وفي حديث سعد بن مالك مرفوعًا: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ نَزَلَ بِحُزْنٍ وَكَآبَةٍ، فَإِذَا قَرَأْتُمُوْهُ فَابْكُوْا، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوْا فَتَبَاكَوْا. رواه البيهقيّ في الشعب. (٢)

والمراد بالتّباكي: هو تكلّف البكاء على سبيل تربية النّفس وتعويدها من باب «والحلم بالتّحلّم» لا تكلّف المرائين.– انتهى ما في "المنار" و"حاشيته" من جزئين: ٨ و٩. (٣)

وقال رئيس المفسّرين الحافظ عماد الدّين ابن كثير في "تفسيره" تحت قوله تعالى ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾(٤): هذه صفة الأبرار، عند سماع كلام الجبّار المهيمن العزيز الغفّار، لما يفهمون منه من الوعد والوعيد، والتّخويف والتّهديد، تقشعرّ منه جلودهم من الخشية والخوف. ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ لما يرجون ويؤمّلون من رحمته ولطفه، فهم مخالفون لغيرهم من الكفّار من وجوه:

أحدها: أنّ سماع هؤلاء: هو تلاوة الآيات، وسماع أولئك: نغمات الأبيات من أصوات القَيْنَاتِ.

---

(١) من سورة بني إسرائيل: ١٠٩.

(٢) ينظر: شعب الإيمان (٣:٤١٠)، رقم الحديث: ١٨٩١، سنن ابن ماجه: ١٣٣٧. قال السّنديّ علي تعليقه عليه: وفي الزّوائد في إسناده أبو رافع، اسمه إسماعيل بن رافع، ضعيف متروك.

(٣) ينظر: (٨: ٢٦٥– ٢٦٦) منه، العلمية.

(٤) من سورة الزمر: ٢٣. في الأصل كانت الآية ناقصة.

الثّاني: أنّهم إذا تليت عليهم آيات الرّحمن خرّوا سجّدا وبكيّا، بأدب وخشية، ورجاء ومحبّة، وفهم وعلم، كما قال تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾(١) وقال تعالى ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾(٢) أي: لم يكونوا عند سماعها متشاغلين لاهين عنها بل مصغين إليها، فاهمين بصيرين بمعانيها. فلهذا إنّما يعملون بها ويسجدون عندها عن بصيرة، لا عن جهل ومتابعة لغيرهم أي يرون غيرهم قد سجد فيسجدون تبعا له.

الثالث: أنّهم يلزمون الأدب عند سماعها كما كان الصّحابة رضي الله عنهم عند سماعهم كلام الله من تلاوة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تقشعرّ جلودهم، ثمّ تلين مع قلوبهم إلى ذكر الله. لم يكونوا يتصارخون ولا يتكلّفون ما ليس فيهم بل عندهم من الثّبات والسّكون والأدب والخشية ما لا يلحقهم أحد في ذلك. ولهذا فازوا بالقدح المُعَلّى في الدّنيا والآخرة. (٣)

وقال أيضًا تحت قوله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٤): يقول تعالى معظّمًا لأمر القرآن، ومبيّنًا علوّ قدره، وأنّه ينبغي أن تخشع له القلوب، وتتصدّع عند سماعه، إلى آخره. (٥)

---

(١) من سورة الأنفال: ٢ – ٤.

(٢) من سورة الفرقان: ٧٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم (١٢: ١٢٣– ١٢٤) باختصار، مؤسسة قرطبة.

(٤) من سورة الحشر: ٢١.

(٥) تفسير القرآن العظيم (٨: ٧٨). وهذه عباراته الكاملة: يقول تعالى معظّما لأمر القرآن، ومبيّنا علوّ قدره، وأنّه ينبغي أن تخشع له القلوب، وتتصدّع عند سماعه لما فيه من الوعد والوعيد الأكيد

وقال أيضًا تحت قوله ﴿وَقَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوْا لَا تَسْمَعُوْا لِهٰذَا الْقُرْاٰنِ وَالْغَوْا فِيْهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُوْنَ﴾(١) أي يقولون فيما بينهم إذا تلي القرآن: لا تسمعوا لهذا والغوا فيه

﴿لَوْ اَنْزَلْنَا هٰذَا الْقُرْاٰنَ عَلٰى جَبَلٍ لَّرَاَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ﴾ أي: فإن كان الجبل في غلظته وقساوته. لو فهم هذا القرآن فتدبّر ما فيه لخشع وتصدع من خوف الله عزّ وجلّ فكيف يليق بكم أيّها البشر ألّا تلين قلوبكم وتخشع، وتتصدّع من خشية الله، وقد فهمتم عن الله أمره وتدبّرتم كتابه؟ ولهذا قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْاَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُوْنَ﴾.

قال العوفيّ: عن ابن عبّاس في قوله ﴿لَوْ اَنْزَلْنَا هٰذَا الْقُرْاٰنَ عَلٰى جَبَلٍ لَّرَاَيْتَهُ خَاشِعًا﴾ إلى آخرها، يقول: لو أنّي أنزلت هذا القرآن على جبل حملته إيّاه لتصدّع وخشع من ثقله ومن خشية الله. فأمر الله النّاس إذا نزل عليهم القرآن أن يأخذوه بالخشية الشّديدة والتّخشّع. ثمّ قال: ﴿كَذٰلِكَ يَضْرِبُ اللّٰهُ الْاَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُوْنَ﴾. وكذا قال قتادة، وابن جرير.

وقد ثبت في الحديث المتواتر أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لّما عمل له المنبر، وقد كان يوم الخطبة يقف إلى جانب جذع من جُذُوْعِ المسجد، فلمّا وضع المنبر أوّل ما وضع، وجاء النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ليخطب، فجاوز الجذع إلى نحو المنبر، فعند ذلك حنّ الجِذْعُ وجعل يَئِنُّ كما يئنّ الصبيّ الّذي يسكن، لما كان يسمع من الذّكر والوحي عنده. ففي بعض روايات هذا الحديث قال الحسن البصريّ بعد إيراده: فأنتم أحقّ أن تشتاقوا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من الجذع. وهكذا هذه الآية الكريمة.

إذا كانت الجبال الصّمّ لو سمعت كلام الله وفهمته لخشعت وتصدّعت من خشيته فكيف بكم وقد سمعتم وفهمتم؟ وقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ اَنَّ قُرْاٰنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ اَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْاَرْضُ اَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتٰى﴾ الآية [الرّعد: ٣١]. وقد تقدّم أن معنى ذلك: أي لكان هذا القرآن. وقال تعالى: ﴿وَاِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْاَنْهٰرُ وَاِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَاِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ﴾. [البقرة: ٧٤].

(١) من سورة حٰم السَّجْدَة: ٢٦.

بالمكاء والتّصدية(١) والتّخليط، أو عيّبوه. هذا حال هؤلاء الجهلة من الكفار ومن سلك مسلكهم عند سماع القرآن، انتهى كلام ابن كثير. (٢)

وقال العلّامة الشاميّ في "ردّ المحتار": يجب الاستماع للقراءة مطلقًا أي في الصّلاة وخارجها لأنّ الآية – وهي ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ – وإن كانت واردةً في الصّلاة على ما مرّ فالعبرة لعموم اللّفظ لا لخصوص السّبب، ثمّ هذا حيث لا عذر.

وفي "المنية": أنّ الاستماع للقرآن فرض كفاية....(إلى أن قال): وقد نقل الحَمَوِيُّ عن أستاذه قاضي القُضاة يحي أنّ له رسالة حقّق فيها: أنّ استماع القرآن فرض عين، انتهى. (٣)

---

(١) في نسخة: "الصّفير".

(٢) تفسير القرآن العظيم (٧: ١٧٤) ملخصا.

(٣) النّصّ الكامل لابن عابدين: (قوله يجب الاستماع للقراءة مطلقا) أي في الصّلاة وخارجها، لأنّ الآية وإن كانت واردة في الصّلاة على ما مرّ فالعبرة لعموم اللّفظ لا لخصوص السّبب، ثمّ هذا حيث لا عذر؛ ولذا قال في "القنية": صبيّ يقرأ في البيت وأهله مشغولون بالعمل يعذرون في ترك الاستماع إن افتتحوا العمل قبل القراءة، وإلّا: فلا، وكذا قراءة الفقه عند قراءة القرآن. وفي "الفتح" عن "الخلاصة": رجل يكتب الفقه وبجنبه رجل يقرأ القرآن فلا يمكنه استماع القرآن فالإثم على القارئ. وعلى هذا لو قرأ على السّطح والنّاس نيام يأثم، أي لأنّه يكون سببًا لإعراضهم عن استماعه، أو لأنّه يؤذيهم بإيقاظهم. تأمّل.

مطلب: الاستماع للقرآن فرض كفاية، وفي "شرح المُنْيَة": والأصل أنّ الاستماع للقرآن فرض كفاية، لأنّه لإقامة حقّه بأن يكون ملتفتا إليه غير مضيّع، وذلك يحصل بإنصات البعض؛ كما في ردّ السّلام حين كان لرعاية حقّ المسلم كفى فيه البعض عن الكلّ، إلّا أنّه يجب على القارئ احترامه بأن لا يقرأه في الأسواق ومواضع الاشتغال، فإذا قرأه فيها كان هو المضيّع لحرمته، فيكون الإثم عليه دون أهل الاشتغال دفعا للحرج. ونقل الحَمَوِيُّ عن أستاذه قاضي القضاة يحيى الشهير بـــ مِنْقَارِي زَادَه أنّ له رسالة حقّق فيها أنّ استماع القرآن فرض عين.– ردّ المحتار مع الدّرّ المختار (١: ٥٤٦)، دار

قال ابن العليم: فالحاصل أنّ لعلمائنا الحنفيّة ثلاثة أقوال في استماع القرآن خارج الصّلاة:

١. الوجوب.

٢. فرض كفاية.

٣. فرض عين.

وفي "شرح المنية الكبير": واستماع القرآن أفضل من تلاوته وكذا من الاشتغال بالتّطوّع: لأنّه يقع فرضًا والفرض أفضل من النّفل، والجهر بالقرآن أفضل إن لم يكن عند مشغولين(١) ما لم يخالطه(٢) رياء.

ويكره التّرجيع والتّلحين بقراءة القرآن عند عامّة المشايخ لأنّه يشبه بفعل الفسقة. هذا إذا كان لا يغيّر الحروف. وأمّا اللّحن المغيّر: فحرام بلا خلاف، انتهى. (٣)

الدلائل المنثورة

١. قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾. (٤)

٢. قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾. (١)

الفكر – بيروت. والرسالة المذكورة هي "الاتباع في مسألة الاستماع مع رسالة في وجوب استماع الخطبة" لشيخ الإسلام في الدولة العثمانية يحيى بن عمر الشهير بـ منْقَارِي زاده، المتوفى سنة ١٠٨٨ هـ. وهي مطبوعة بتحقيق ودراسة الدكتور أسامة عبد الوهاب.

(١) في الأصل: "المشغولين".

(٢) في الأصل: "ما لم يخالط".

(٣) ينظر: غنية المتملي في شرح منية المصلي وغنية المبتدي المشهور بشرح الكبير أو الحلبي الكبير (٢: ٣٤٢)، للشيخ إبراهيم الحلبي (ت ٩٥٦ هـ)، العلمية، والمنح الفكرية في شرح المقدمة الجزرية، ص ١٢٨– ١٢٩، لعلي القاري.

(٤) من سورة المائدة: ٨٣.

٣. قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾. (٢)

٤. قوله تعالى: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۩ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩﴾. (٣)

٥. قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا۩﴾. (٤)

٦. قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اِذَا ذُكِّرُوْا بِاٰيٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوْا عَلَيْهَا صُمًّا وَّ عُمْيَانًا﴾. (٥)

٧. قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾. (٦)

٨. قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۚ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. (٧)

٩. قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾. (١)

---

(١) من سورة الأعراف: ٢٠٤.

(٢) من سورة الأنفال: ٢.

(٣) من سورة بني إسرائيل: ١٠٧-١٠٩.

(٤) من سورة مريم: ٥٨.

(٥) من سورة الفرقان: ٧٣.

(٦) من سورة لقمان: ٦.

(٧) من سورة لقمان: ٧.

١٠. قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾. (١)

١١. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾. (٣)

١٢. ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾. (٤)

١٣. ﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾. (٥)

١٤. ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۚ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾. (٦)

١٥. ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾. (٧)

١٦. "صحيح البخاريّ"، باب إذا بكى الإمام في الصّلاة. وقال عبد الله بن شدّاد: سَمِعْتُ نَشِيجَ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَنَا فِيْ آخِرِ الصُّفُوْفِ يَقْرَأُ: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو

---

(١) من سورة الزُّمَر: ١٧– ١٨.

(٢) من سورة الزمر: ٢٣.

(٣) من سورة حٰم السّجدة: ٢٦.

(٤) من سورة الحشر: ٢١.

(٥) من سورة القلم: ٥١.

(٦) من سورة المُزَّمِّل: ٤–٥.

(٧) من سورة الأحقاف: ٢٩–٣٢.

بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّه﴾.(١) ثمّ أورد حديث إمامة أبي بكر مسندًا، وفيه قالت عائشة رضي الله عنها: قُلْتُ لَهُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ لم يُسْمِعِ النّاس من البكاء، انتهى. (٢)

١٧. أخرج الإمام البخاريّ رحمه الله تعالى عن البَرَاءِ بن عازب، قال: كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الْكَهْفِ وَإِلَى جَانِبِه حِصَانٌ مَرْبُوطٌ بِشَطَنَيْنِ(٣)، فَتَغَشَّتْهُ سَحَابَةٌ، فَجَعَلَتْ تَدْنُو، وَتَدْنُو، وَجَعَلَ فَرَسُهُ يَنْفِرُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ بِالْقُرْآنِ. (٤)

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: هي شيء مخلوق معها سكون ورحمة وملائكة. قد تكون مرئيًا وقد تكون معنويًّا، انتهى ملخّصًا. (٥)

١٨. «باب نزول السّكينة والملائكة عند قراءة القرآن» من «صحيح البخاري»، وفيه حديث أُسَيْد بن حُضَيْر رضي الله عنه وقراءته "سورة البقرة" من اللّيل، وفي آخره: فَرَفَعْتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ الْمَصَابِيحِ. فقَالَ النبي صلى الله عليه وسلم: تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ. (٦)

قال الحافظ رحمه الله تعالى: وفي رواية أخرى تستمع لك.(٧) قال النَّوَوِيُّ: وفيه فضيلة القرآن، وإنّها سبب الرّحمة ونزول الملائكة. (١)

---

(١) من سورة يوسف: ٨٦.

(٢) صحيح البخاريّ | كِتَابُ الْأَذَانِ | بَابٌ: إِذَا بَكَى الْإِمَامُ فِي الصَّلَاةِ، رقم الحديث: ٧١٦.

(٣) الشَّطَن: الحبل. وقيل: هو الحبل الطويل.

(٤) صحيح البخاريّ | كِتَابٌ: فَضَائِلُ الْقُرْآنِ | بَابُ فَضْلِ سُورَةِ الْكَهْفِ، رقم الحديث: ٥٠١١، صحيح مسلم: ٧٩٥، وسنن التّرمذيّ: ٢٨٨٥. كان الحديث في الأصل ناقصًا.

(٥) ينظر: فتح الباري (٩: ٥٨)، والمنهاج بشرح صحيح مسلم (٦: ٨٢).

(٦) صحيح البخاريّ | كِتَابٌ: فَضَائِلُ الْقُرْآنِ | بَابُ نُزُولِ السَّكِينَةِ وَالْمَلَائِكَةِ عِنْدَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، رقم الحديث: ٥٠١٨.

(٧) فتح الباري بشرح صحيح البخاريّ (٩: ٦٤).

١٩. وفي «صحيح البخاري» باب من لم يتغنّ بالقرآن، وقوله تعالى: اَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ اَنَّآ اَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتٰبَ يُتْلٰى عَلَيْهِمْ.[٢] أخرج البخاريّ في الباب حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِلنَّبِيِّ أَنْ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ. وقال صاحب له: يُرِيْدُ يَجْهَرُ بِهِ. [٣]

وأخرج في كتاب التوحيد[٤] من «الصّحيح» قوله صلّى الله عليه وسلّم: لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ. [٥]

قال في "فتح الباري": والمراد بالإذن هاهنا هو الاستماع عند جمهور الشُّراح. وأمّا التّغنّي فاختلفوا في معناه:

الأوّل: هو الجهر، وهو المذكور في الحديث. فإن كان من لفظ الحديث كما يُوْهِمُه رواية مسلم وغيره فهو المتعيّن[٦]، وإن كان مُدْرَجًا من بعض الرّواة تفسيرا للحديث كما ذهب إليه الأكثرون، فلا شكّ أنّ الراوي أعلم من غيره.

الثّاني: الاستغناء يعني من لم يستغن القرآن عن الإكثار من الدّنيا فليس منّا.

الثّالث: تحسين الصّوت به.

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجّاج (٦: ٨٢).

(٢) من سورة العنكبوت: ٥١.

(٣) صحيح البخاري | كِتَابٌ: فَضَائِلُ الْقُرْآنِ | بَابٌ: مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ، الرقم: ٥٠٢٤. في الأصل: "ما أذن الله لنبيّ".

(٤) في الأصل: "كتاب الأحكام".

(٥) صحيح البخاري | كِتَابُ التَّوْحِيدِ | بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ، رقم الحديث: ٧٥٢٧. في الأصل: "من لم يتغنّ بالقرآن فليس منا".

(٦) قلت: بل هو صريح رواية مسلم، ولفظه: مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ، يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ، يَجْهَرُ بِهِ.– منه رحمه الله تعالى. (صحيح مسلم | كِتَابٌ: الْمَسَاجِدُ وَمَوَاضِعُ الصَّلَاةِ | بَابٌ: اسْتِحْبَابُ تَحْسِينِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ، الرقم: ٧٩٢).

الرّابع: التّحزّن أي يقرأه بصوت الحزين.

الخامس: التّشاغل به.

السّادس: التّلذّذ به والاستحلاء له.

السّابع: الاستغناء به عن غيره من الكتب والعلوم.

إلى أن قال: والحاصل أنّه يمكن الجمع بين أكثر التّأويلات المذكورة، وهو أنّه يحسن به صوته جاهرًا به، مترنّمًا على طريق التّحزّن، مستغنيًا به عن غيره من الأخبار، طالبًا به غنى النّفس، راجيًا به غنى اليد، انتهى كلام الحافظ بقدر الضّرورة. (١)

٢٠. «صحيح البخاري»: «باب اغتباط صاحب القرآن»، وفيه حديث ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما قال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ؛ رَجُلٍ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَسَمِعَهُ جَارٌ لَهُ، فَقَالَ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلَانٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ. وَرَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يُهْلِكُهُ فِي الْحَقِّ، فَقَالَ رَجُلٌ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلَانٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ. (٢)

٢١. «صحيح البخاري»: «باب من أحبّ أن يستمع القرآن من غيره» و «باب البكاء عند قراءة القرآن». وفي البابين حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: اقْرَأْ عَلَيَّ. قَالَ: قُلْتُ: أَقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي. قَالَ: فَقَرَأْتُ «النِّسَاءَ» حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ ﴿فَكَيْفَ اذَا جَمَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النّساء: ٤١] قَالَ لِي: "كُفَّ" – أَوْ: أَمْسِكْ – فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَذْرِفَانِ. (٣)

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاريّ (٩: ٦٩-٧٢).

(٢) صحيح البخاريّ، رقم الحديث: ٥٠٢٥ و ٥٠٢٦. كان الحديث في الأصل ناقصا.

(٣) ينظر: صحيح البخاري | كِتَابٌ: فَضَائِلُ الْقُرْآنِ | بَابُ اغْتِبَاطِ صَاحِبِ الْقُرْآنِ، الرقم: ٥٠٢٦.

قال ابن حجر: قال النَّوَوِيُّ: البكاء عند قراءة القرآن صفة العارفين، ويستحبّ البكاء مع القراءة وعند القراءة، وهو صفة العارفين وشعار الصّالحين. قال الله تعالى: ﴿وَيَخِرُّوْنَ لِلْاَذْقَانِ يَبْكُوْنَ﴾ [بني إسرائيل: ١٠٧]. وقال تعالى: ﴿خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم : ٥٨]. والأحاديث فيه كثيرة.

وطريق تحصيله: أن يحضر قلبه الحزن والخوف بتأمّل ما في القرآن، فإن لم يحضره حزن فليبك على فقد ذلك، وأنّه من أعظم المصائب. (١)

قال العبد الضّعيف، ابن العليم: وفي «صحيح الإمام مسلم»: «باب فضل الاستماع للقرآن وطلب القراءة من حافظ للاستماع والبكاء عند القراءة والتّدبر»، وذكر في الباب حديث ابن مسعود المارّ وحديثًا آخر. قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: كُنْتُ بِحِمْصَ، فَقَالَ لِي بَعْضُ الْقَوْمِ: اقْرَأْ عَلَيْنَا، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمْ سُورَةَ يُوسُفَ. قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: وَاللَّهِ مَا هَكَذَا أُنْزِلَتْ. قَالَ: قُلْتُ :وَيْحَكَ وَاللَّهِ لَقَدْ قَرَأْتُهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ لِي: أَحْسَنْتَ، فَبَيْنَمَا أَنَا أُكَلِّمُهُ إِذْ وَجَدْتُ مِنْهُ رِيحَ الْخَمْرِ. قَالَ: فَقُلْتُ :أَتَشْرَبُ الْخَمْرَ، وَتُكَذِّبُ بِالْكِتَابِ؟ لَا تَبْرَحُ حَتَّى أَجْلِدَكَ. قَالَ: فَجَلَدْتُهُ الْحَدَّ.(٢) وقد ثبت في محلّه أنّ فقه المحدّثين في تراجمهم.

وفي "فتح الملهم" قال النَّوَوِيُّ: والأحاديث في البكاء عند قراءة القرآن كثيرة. وقد صعق جماعات من السّلف عند قراءة القرآن، ومات جماعة من السَّلَف بسببها. ولما

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاريّ (٨: ٧٢٩)، طبع الرياض، فتح المنعم شرح صحيح مسلم (٣: ٦١٤)، للدكتور موسى شاهين، دار الشروق، وإتحاف السادة المتقين (٥: ٤٣)، العلمية.

(٢) صحيح مسلم | كِتَابٌ: الْمَسَاجِدُ وَمَوَاضِعُ الصَّلَاةِ | بَابٌ: فَضْلُ اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ، رقم الحديث: ٨٠١.

حكي في "التّبيان"(١) عن جمع إنكار الصّياح والصّعق. قال: الصّواب عدم الإنكار إلّا على من اعترف أنّه يفعله تصنّعًا. (١)

---

(١) قال النووي فيه ما نصّه: فإذا شرع في القراءة فليكن شأنه الخشوع والتّدبّر عند القراءة، والدّلائل عليه أكثر من أن تحصر وأشهر وأظهر من أن تذكر، فهو المقصود المطلوب، وبه تنشرح الصّدور، وتستنير القلوب. قال الله عزّ وجلّ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُوْنَ الْقُرْآنَ﴾، وقال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوْا آيَاتِهِ﴾.

والأحاديث فيه كثيرة، وأقاويل السّلف فيه مشهورة، وقد بات جماعة من السّلف يتلون آية واحدة يتدبّرونها ويردّدونها إلى الصّباح، وقد صعق جماعة من السّلف عند القراءة، ومات جماعات حال القراءة. وروينا عن بَهْز بن حكيم أنّ زُرَارَةَ بن أَوْفى التّابعيّ الجليل رضي الله عنه أمّهم في صلاة الفجر، فقرأ حتّى بلغ ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُوْرِ فَذٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَّوْمٌ عَسِيْرٌ﴾ خرّ ميّتًا، قال بَهْزٌ: وكنت فيمن حمله. وكان أحمد بن أبي الحواري رضي الله عنه وهو ريحانة الشّام كما قال أبو القاسم الجُنَيْدُ رحمه الله: إذا قرئ عنده القرآن يصيح ويصعق.

قال ابن أبي داود: وكان القاسم بن عثمان الجُوْنِيُّ رحمه الله ينكر على ابن الحواري، وكان الجُوني فاضلًا من محدّثي أهل دِمَشْقَ تقدّم في الفضل على ابن أبي الحواري، قال: وكذلك أنكره أبو الجوزاء وقيس بن جُبير وغيرهم. قلت: والصّواب عدم الإنكار إلّا على من اعترف أنّه يفعله تصنّعًا. والله أعلم.

ثمّ قال: وقال السّيّد الجليل ذو المواهب والمعارف إبراهيم الخوّاصّ رضي الله تعالى عنه دواء القلب خمسة أشياء:

١. قراءة القرآن بالتّدبّر.

٢. وخلاء البطن.

٣. وقيام اللّيل.

٤. والتّضرّع عند السّحر.

٥. ومجالسة الصّالحين.

استحباب ترديد الآية للتّدبّر: وقد قدّمنا في الفصل قبله الحثّ على التّدبّر، وبيان موقعه وتأثّر السّلف، وروينا عن أبي ذرّ رضي الله تعالى عنه قال: قام النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بآية يرددّها حتّى أصبح،

والآية ﴿اِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَاِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ الآية، رواه النّسائيّ وابن ماجه. وعن تميم الدّاريّ رضي الله تعالى عنه أنّه كرّر هذه الآية حتّى أصبح ﴿اَمْ حَسِبَ الَّذِيْنَ اجْتَرَحُوا السَّيِّاٰتِ اَنْ نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَ عَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ ۙ سَوَاۤءً مَّحْيَاهُمْ وَ مَمَاتُهُمْ ؕ سَاۤءَ مَا يَحْكُمُوْنَ﴾. وعن عبادة بن حمزة قال دخلت على أسماء رضي الله عنها وهي تقرأ ﴿فَمَنَّ اللّٰهُ عَلَيْنَا وَ وَقٰنَا عَذَابَ السَّمُوْمِ﴾ فوقفت عندها، فجعلت تعيدها وتدعو فطال عليّ ذلك فذهبت إلى السّوق فقضيت حاجتي، ثمّ رجعت وهي تعيدها وتدعو، ورويت هذه القصّة عن عائشة رضي الله تعالى عنها.

وردّد ابن مسعود رضي الله عنه ﴿رَبِّ زِدْنِىْ عِلْمًا﴾، وردّد سعيد بن جبير ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُوْنَ فِيْهِ اِلَى اللّٰهِ ۗ ثُمَّ تُوَفّٰى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُوْنَ﴾، وردّد أيضًا ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُوْنَ ۙ اِذِ الْاَغْلٰلُ فِىْۤ اَعْنَاقِهِمْ﴾ الآية، وردّد أيضًا ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيْمِ﴾. وكان الضّحّاك إذا تلا قوله تعالى ﴿لَهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَ مِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾، ردّدها إلى السّحر.

البكاء عند قراءة القرآن: قد تقدّم في الفصلين المتقدّمين بيان ما يحمل على البكاء في حال القراءة وهو صفة العارفين وشعار عباد الله الصّالحين، قال الله تعالى: ﴿وَيَخِرُّوْنَ لِلْاَذْقَانِ يَبْكُوْنَ وَيَزِيْدُهُمْ خُشُوْعًا﴾، وقد وردت فيه أحاديث كثيرة وآثار السّلف، فمن ذلك عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: اقْرَؤُوْا الْقُرْآنَ وَابْكُوْا فَإِنْ لَمْ تَبْكُوْا فَتَبَاكَوْا. وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنّه صلّى بالجماعة الصّبح، فقرأ سورة يوسف فبكى حتّى سالت دموعه على ترقوته. وفي رواية: أنّه كان في صلاة العشاء، فتدلّ على تكريرة منه، وفي رواية: أنّه بكى حتّى سمعوا بكاءه من وراء الصّفوف.

وعن أبي رجاء قال: رأيت ابن عبّاس وتحت عينيه مثل الشّراك البالي من الدّموع، وعن أبي صالح قال: قدم ناس من أهل اليمن على أبي بكر الصّديق رضي الله عنه، فجعلوا يقرؤون القرآن ويبكون، فقال أبو بكر الصّديق رضي الله عنه: هكذا كنّا. وعن هشام قال: ربما سمعت بكاء محمّد بن سيرين في اللّيل وهو في الصّلاة. والآثار في هذا كثيرة لا يمكن حصرها، وفيما أشرنا إليه ونبّهنا عليه كفاية. والله أعلم.

قال الإمام أبو حامد الغَزَالِيُّ: البكاء مستحبّ مع القراءة وعندها، وطريقه في تحصيله أن يحضر قلبه الحزن بأن يتأمّل ما فيه من التّهديد والوعيد الشّديد والمواثيق والعهود، ثمّ يتأمّل تقصيره في ذلك، فإن لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر الخواصّ فليبك على فقد ذلك، فإنّه من أعظم المصائب.

حكم الترتيل: وينبغي أن يرتّل قراءته، وقد اتّفق العلماء رضي الله عنهم على استحباب التّرتيل. قال الله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾، وثبت عن أمّ سلمة رضي الله عنها أَنَّهَا نَعَتَتْ قِرَاءَةَ رَسُوْلِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قِرَاءَةً مُفَسَّرَةً حَرْفًا حَرْفًا. رواه أبو داود والنّسائيّ والتّرمذيّ. قال التّرمذيّ: حديث حسن صحيح.

وعن معاوية بن قُرَّةَ رضي الله عنه عن عبد الله بن مُغَفَّلٍ رضي الله عنه قال: رَأَيْتُ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ عَلَى نَاقَتِه يَقْرَأُ سُوْرَةَ الْفَتْحِ يَرْجِعُ فِيْ قِرَاءَتِه. رواه البخاريّ ومسلم. وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: لَأَنْ أَقْرَأَ سُوْرَةً أُرَتِّلُهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ كُلَّهُ. وعن مجاهد أنّه سئل عن رجلين قرأ أحدهما البقرة وآل عمران والآخر البقرة وحدها، وزمنهما وركوعهما وسجودهما وجلوسهما واحد سواء، فقال: الّذي قرأ البقرة وحدها أفضل.

وقد نهي عن الإفراط في الإسراع ويسمّى الهَذْرَمَةَ، فثبت عن عبد الله بن مسعود أنّ رجلا قال له: إنّي أقرأ المفصّل في ركعة واحدة، فقال عبد الله بن مسعود: هكذا هكذا الشعر، إنّ أقواماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، ولكن إذا وقع في القلب فرسخ فيه نفع. رواه البخاريّ ومسلم، وهذا لفظ مسلم في إحدى رواياته. قال العلماء: والتّرتيل مستحبّ للتّدبّر ولغيره، قالوا: يستحبّ التّرتيل للعجميّ الّذي لا يفهم معناه، لأنّ ذلك أقرب إلى التّوقير والاحترام، وأشدّ تأثيرا في القلب.

الدّعاء لكلّ مناسبة: ويستحبّ إذا مرّ بآية رحمة أن يسأل الله تعالى من فضله، وإذا مرّ بآية عذاب أن يستعيذ بالله من الشّر ومن العذاب، أو يقول: اللّهم إنّي أسألك العافية أو أسألك المعافاة من كلّ مكروه أو نحو ذلك، وإذا مرّ بآية تنزيه لله تعالى نزّه فقال: سبحانه وتعالى، أو تبارك وتعالى، أو جلّت عظمة ربّنا. فقد صحّ عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَة، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَة، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَة، فَمَضَى، فَقُلْتُ :يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا؛ إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ. رواه مسلم في "صحيحه"، وكانت سورة النّساء في ذلك الوقت مقدّمة على آل عمران.

قال أصحابنا رحمهم الله تعالى: ويستحبّ هذا السّؤال والاستعاذة والتّسبيح لكلّ قارئ سواء كان في الصّلاة أو خارجا منها، قالوا: ويستحبّ ذلك في صلاة الإمام والمنفرد والمأموم، لأنّه دعاء فاستووا فيه كالتّأمين عقب الفاتحة.

وقال في "الأذكار": فإن عزّ عليه البكاء تباكى لخبر أحمد والبَيْهَقِيِّ: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ نَزَلَ بِحُزْنٍ وَكَآبَةٍ، فَإِذَا قَرَأْتُمُوْهُ فَابْكُوْا، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوْا فَتَبَاكَوْا، انتهى. (٢)

٢٢. «صحيح البخاري»: «باب الهجرة»، ذكر فيه الحديث الطّويل، وفيه خروج أبي بكر رضي الله عنه مهاجرًا نحو أرض الحبشة، ولقائه مع ابن الدَّغِنَةِ، وإجارته لأبي بكر رضي الله عنه.

وفيه ثُمَّ بَدَا لِأَبِي بَكْرٍ فَابْتَنَى مَسْجِدًا بِفِنَاءِ دَارِهِ، فَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ، وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَيَقِفُ عَلَيْهِ نِسَاءُ الْمُشْرِكِينَ وَأَبْنَاؤُهُمْ، يَعْجَبُونَ مِنْهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَّاءً، لَا يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأَفْزَعَ ذَلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ. (١)

وهذا الّذي ذكرناه من استحباب السّؤال والاستعاذة هو مذهب الشّافعيّ رضي الله عنه وجماهير العلماء رحمهم الله. وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: ولا يستحبّ ذلك بل يكره في الصّلاة. والصّواب قول الجماهير لما قدّمناه احترام القرآن.- التّبيان في بيان آداب حَمَلَةِ القرآن للنّوويّ، ص ٥٥-٦٢، العلمية.

(١) فتح الملهم بشرح صحيح مسلم (٢: ٣٥٢).

(٢) قال النّوويّ في "الأذكار" ما نصّه: ينبغي للقارىء أن يكون شأنه الخشوع والتّدبّر والخضوع، فهذا هو المقصود المطلوب، وبه تنشرح الصّدور وتستنير القلوب، ودلائله أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر. وقد بات جماعة من السّلف يتلو الواحد منهم آية واحدة ليلة كاملة أو معظم ليلة يتدبّرها عند القراءة، وصعق جماعة منهم، ومات جماعات منهم. ويستحبّ البكاء والتّباكي لمن لا يقدر على البكاء، فإنّ البكاء عند القراءة صفة العارفين وشعار عباد الله الصّالحين. قال الله تعالى: ﴿وَيَخِرُّوْنَ لِلْاَذْقَانِ يَبْكُوْنَ وَيَزِيْدُهُمْ خُشُوْعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩].- الأذكار للنّوويّ ص ١٩٥.

(٣) صحيح البخاريّ | كِتَابٌ: الصَّلَاةُ | بَابُ الْمَسْجِدِ يَكُونُ فِي الطَّرِيقِ، رقم الحديث: ٤٧٦.

قال الحافظ: وسبب الفزع خوفهم على النّساء والشُّبَّانِ أن يُميلوا إلى دين الإسلام، انتهى. (٢)

قال المحقّقون: في الحديث دليل على شدّة تأثير القرآن في قلوب النّاس، وأنّ له روحًا مؤثرةً في القلوب الخالية، وسلطانًا وهيبةً تكاد تتصدّع عنها القلوب الصّافية، وتلين منها النّفوس الزّاكية، وأنّ التّأثّر من هذا الهيبة القرآنية، والرّوح الفرقانية لا يتوقّف على فهم معاني مفردات القرآن، بل العلم بأنّ هذا كلام ربّ العالمين، وكتاب من المحبوب المكرّم، وخطاب من المولى الجليل كاف لوجدان هذا التّأثّر.

نعم، مهما كان علم العبد بهذا الكتاب أكمل كان تعلّقه به أشدّ، فيكون تأثّره من القرآن الكريم أقوى، فإن وفقني المولى الكريم فسأعود إلى تفصيله مرّةً أخرى.

٢٣. عن أنس رضي الله عنه قال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: أَفْضَلُ عِبَادَةِ أُمَّتِي قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ.– أخرجه أبو نُعَيْمٍ بإسناد ضعيف، وأخرجه البَيْهَقِيِّ وغيرهما. (٣)

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاريّ (٧: ١٨٢) ملخصا.

(٢) قال العِرَاقِيُّ: رواه أبو نُعيم في "فضائل القرآن" من حديث النّعمان بن بشير وأنس بإسناد ضعيف، اهـ. قلت: رواه البيهقيّ كذلك، ورواه ابن نافع عن أُسيد عن جابر التّميميّ والسَّجْزِيُّ في "الإبانة" عن أنس بلفظ: العبادات قراءة القرآن.– تخريج أحاديث إحياء علوم الدّين (٢: ٦٨٢).

قال ابن العليم: قال الحافظ ابن حجر والنَّوَوِيُّ وغيرهما من كبار هذه الأمّة: إنّ أفضل الأذكار هو قراءة القرآن. (١)

---

(١) ينظر: الأذكار للنّوويّ ص ١٠١. قال النّوويّ: اعلم أنّ تلاوة القرآن هي أفضل الأذكار، والمطلوب: القراءة بالتّدبّر، وللقراءة آدابٌ ومقاصد، وقد جمعت قبل هذا فيها كتابًا مختصرًا مشتملًا على نفائس من آداب القرّاء والقراءة وصفاتها وما يتعلّق بها، لا ينبغي لحامل القرآن أن يخفى عليه مثله، وأنا أُشيرُ في هذا الكتاب إلى مقاصدَ من ذلك مختصرة، وقد دلّلتُ من أراد ذلك وإيضاحه على مظنّته، وبالله التّوفيق.

ينبغي أن يحافظ على تلاوته ليلًا ونهارًا، سفرًا وحضرًا، وقد كانت للسّلف رضي الله عنهم عادات مختلفة في القدر الّذي يختمون فيه، فكان جماعةٌ منهم يختمون في كلّ شهرين ختمة، وآخرون في كلّ شهر ختمة، وآخرون في كلّ عشر ليال ختمة، وآخرون في كلّ ثمان ليالٍ ختمة، وآخرون في كلّ سبع ليالٍ ختمة، وهذا فعل الأكثرين من السّلف، وآخرون في كلّ ستّ ليال، وآخرون في خمس، وآخرون في أربع، وكثيرون في كلّ ثلاث، وكان كثيرون يختمون في كلّ يوم وليلة ختمة، وختم جماعة في كلّ يوم وليلة ختمتين، وآخرون في كلّ يوم وليلة ثلاث ختمات، وختم بعضهم في اليوم واللّيلة ثماني ختمات: أربعًا في اللّيل، وأربعًا في النهار.

وممّن ختم أربعًا في اللّيل وأربعًا في النهار، السّيّد الجليل ابن الكاتب الصّوفيّ رضي الله عنه، وهذا أكثر ما بلغنا في اليوم واللّيلة. وروى السّيّد الجليل أحمد الدَّوْرَقِيُّ بإسناده عن منصور بن زادان من عُبّاد التّابعين رضي الله عنهم أنّه كان يختم القرآن ما بين الظّهر والعصر، ويختمه أيضًا فيما بين المغرب والعشاء، ويختمه فيما بين المغرب والعشاء في رمضان ختمتين وشيئًا، وكان يؤخّر العشاء في رَمَضَانَ إلى أن يمضي ربع اللّيل، وروى ابن أبي داود بإسناده الصّحيح أنّ مجاهدًا رحمه الله كان يختم القرآن في رمضان فيما بين المغرب والعشاء.

وأما الّذين ختموا القرآن في ركعة فلا يُحصون لكثرتهم، فمنهم عثمان بن عفّان، وتميم الدّاريّ، وسعيد بن جبير. والمختار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف، فليقتصر على قدر يحصل له كمال فهم ما يقرأ، وكذا من كان مشغولًا بنشر العلم، أو فصل الحكومات بين المسلمين، أو غير ذلك من مهمّات الدّين والمصالح العامّة للمسلمين، فليقتصر على قدر لا يحصل له بسببه إخلال بما هو مرصد له ولا فوت كماله، ومن لم يكن من هؤلاء

٢٤. عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: يقول الرّب عزّ وجلّ: مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ عَنْ ذِكْرِي وَمَسْأَلَتِي، أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ، وَفَضْلُ كَلَامِ اللَّهِ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ كَفَضْلِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ.- أخرجه التّرمذيّ، وقال: هذا حديث حسن غريب.(١) قال الحافظ في "الفتح": ورجاله ثقات إلّا عَطِيَّة العَوْفِيّ، فيه ضعف إلّا أنّ له شواهد، ثمّ ذكرها. (٢)

٢٥. عن أنس رضي الله عنه قال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ. أخرجه النّسائيّ في "الكبري" وابن ماجه والحاكم وأحمد.(٣) قال في الإتحاف: إسناده حسن. (٤)

٢٦. عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ تَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ الْحَدِيْدُ إِذَا أَصَابَهُ الْمَاءُ، قِيْلَ: يَا رَسُوْلَ اللهِ وَمَا جَلَاؤُهَا؟ قَالَ: كَثْرَةُ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ. أخرجه البيهقيّ في "شُعَبِ الإيمان". (١)

المذكورين فليستكثْر ما أمكنه من غير خروج إلى حدّ الملل أو الهذرمة في القراءة. وقد كره جماعة من المتقدّمين الختم في يوم وليلة.

(١) سنن التّرمذيّ | أَبْوَابُ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ | بَابٌ، رقم الحديث:٢٩٢٦.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاريّ (٩: ٥٤).

(٣) السّنن الكبرى للنّسائيّ (٩: ٢٦٣)، رقم الحديث: ٧٩٧٧، تحقيق: حسن عبد المنعم شَلْبِي، أشرف عليه: الشّيخ شعيب الأَرْنَاؤُوْطُ الحنفيّ رحمه الله تعالى، قدّم له: عبد الله بن محسن التركيّ رحمه الله تعالى، الطّبعة الأولى ١٤٢١هـ. سنن ابن ماجه، رقم الحديث: ٢١٥، صحّحه الألبانيّ رحمه الله تعالى أيضا. المستدرك على الصّحيحين (١: ٧٤٣)، رقم الحديث: ٢٠٤٦، المسند للإمام أحمد (١٩: ٢٩٦)، رقم الحديث: ١٢٢٧٩، وحسّنه الشّيخ شعيب الأَرْنَاؤُوْطُ الحنفيّ رحمه الله تعالى. والنص الكامل: عن أنس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِيْنَ مِنَ النَّاسِ فَقِيْلَ: مَنْ أَهْلُ اللهِ مِنْهُمْ؟ قَالَ: أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُه.

(٤) إتحاف السّادة المتّقين بشرح إحياء علوم الدّين (٤: ٤٦٥).

٢٧. عن فَضَالَةَ بن عُبيد قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: لَلَّهُ أَشَدُّ أُذُنًا إِلَى الرَّجُلِ الْحَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ مِنْ صَاحِبِ الْقَيْنَةِ إِلَى قَيْنَتِه. (٢)

قال الحافظ ابن حجر والعراقيّ: أخرجه ابن ماجه، والحاكم وابن حبان وصحّحاه، انتهى. (٣)

قال الزَّبِيْدِيُّ: "أُذُنًا" أي اجتماعًا وإصغاءً، وذلك عبارة عن الإكرام والإنعام، انتهى. (٤)

قال ابن العليم: هذا على قول المتأخّرين من أصحاب التّأويل، وأمّا على قول المتقدّمين من أصحاب التّفويض فمعناه: استماعًا يليق بجنابه تعالي وهو السّميع البصير، تعالي شأنه. (٥)

٢٨. قال الإمام أحمد: رأيتُ ربَّ العزَّةِ عَزَّ وَجَلَّ فِيْ الْمَنَامِ، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ! مَا أَفْضَلُ مَا تَقَرَّبَ بِهِ الْمُتَقَرِّبُوْنَ إِلَيْكَ؟ فَقَالَ: كَلَامِيْ يَا أَحْمَدُ، قَالَ: قُلْتُ:

---

(١) شعب الإيمان للبيهقيّ (٣: ٣٩٢)، رقم الحديث: ١٨٥٧. في الأصل بعض تقديم وتأخير.

(٢) سنن ابن ماجه | كِتَابٌ: إِقَامَةُ الصَّلَاةِ وَالسُّنَّةُ فِيهَا | بَابٌ: فِي حُسْنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ، رقم الحديث: ١٣٥٠، والمسند للإمام أحمد (٣٩: ٣٧٢)، رقم الحديث: ٢٣٩٤٧.

(٣) ينظر: فتح الباري (٨: ٦٨٧)، النكت الظراف (١١: ٣٧)، التهذيب (٩: ١٤)، وموسوعة الحافظ ابن حجر العسقلاني الحديثية (٤: ٢١٥-٢١٦)، الحكمة.

(٤) ينظر: فتح القدير لابن الهمام (٥: ٢٥٢).

(٥) وما ذهب إليه السّلف الصّالح رضي الله عنهم هو الصّحيح، وهو أصل مذهبنا. للتفصيل في المقام راجع: رحمة الله الواسعة بشرح حُجّة الله البالغة (١: ١٦٤) لشيخنا المفتي سعيد أحمد البالنبوريّ رحمه الله تعالى، والفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه، ص ٢٧.

يَا رَبِّ! بِفَهْمٍ أَوْ بِغَيْرِ فَهْمٍ؟ قَالَ: بِفَهْمٍ وَبِغَيْرِ فَهْمٍ.– نقله ابن الجَوْزِيُّ في "مناقب الإمام أحمد". (١)

٢٩. عن سعد بن أبي وقّاص قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ابْكُوْا فَإِنْ لَمْ تَبْكُوْا فَتَبَاكَوْا. أخرجه ابن ماجه. (٢)

قال العِرَاقِيُّ: وإسناده جيّد، وأخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في "زوائد المسند" عنه رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ نَزَلَ بِحُزْنٍ، فَإِذَا قَرَأْتُمُوْهُ فَابْكُوْا، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوْا فَتَبَاكَوْا. وأخرجه أبو يَعْلَى وأبو عَوَانَةَ وغيرهما. (٣)

٣٠. عن جرير رضي الله عنه قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: إِنِّيْ قَارِئٌ عَلَيْكُمْ سُوْرَةَ الزُّمَرِ، فَمَنْ بَكَى فَلَهُ الْجَنَّةُ، فَمِنَّا مَنْ بَكَى وَمِنَّا مَنْ لَمْ يَبْك. فَقَالَ الَّذِيْنَ لَمْ يَبْكُوْا: قَدْ جَهِدْنَا يَا رَسُوْلَ اللهِ أَنْ نَبْكِيَ فَلَمْ نَبْك، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّيْ سَأَقْرَؤُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ لَمْ يَبْك فَلْيَتَبَاكَ. – أخرجه الطَّبَرَانِيُّ وأبوعُبيد. (٤)

٣١. وعن حذيفة قال: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ : يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا؛ إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ:

---

(١) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزيّ ص ٥٨٣، تحقيق: الدّكتور عبد الله بن عبد المحسن التركيّ رحمه الله تعالى.

(٢) سنن ابن ماجه | كِتَابٌ: إِقَامَةُ الصَّلَاةِ وَالسُّنَّةُ فِيهَا | بَابٌ: فِي حُسْنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ، رقم الحديث: ١٣٣٧.

(٣) تخريج أحاديث إحياء علوم الدّين (٢: ٦٩٣)؛ مجموعة تخاريج العراقيّ وابن السُّبْكِيِّ والزَّبِيْدِيِّ على أحاديث إحياء علوم الدّين، دار العاصمة للنّشرالرّياض.

(٤) تخريج أحاديث إحياء علوم الدّين (٢: ٦٩٢) باختصار.

سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِه، ثُمَّ قَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِه.– أخرجه الإمام مسلم في "صحيحه". (١)

قال النَّوَوِيُّ: يستحبّ أن يفعل هذه الأفعال عند القراءة في الصّلاة وخارجها، انتهى. (٢)

٣٢. عن عوف بن مالك – الأَشْجَعِيِّ رضي الله عنه – قال: قُمْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً، فَقَامَ فَقَرَأَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، لَا يَمُرُّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلَّا وَقَفَ فَسَأَلَ، وَلَا يَمُرُّ بِآيَةِ عَذَابٍ إِلَّا وَقَفَ فَتَعَوَّذَ.– أخرجه أبو داود والتّرمذيّ والنّسائيّ وغيره. (٣)

٣٣. عن جابر رضي الله عنه قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَصْحَابِه فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ سُورَةَ الرَّحْمَنِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا، فَسَكَتُوا فَقَالَ: لَقَدْ قَرَأْتُهَا عَلَى الْجِنِّ لَيْلَةَ الْجِنِّ فَكَانُوا أَحْسَنَ مَرْدُودًا مِنْكُمْ؛ كُنْتُ كُلَّمَا أَتَيْتُ عَلَى قَوْلِه ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ قَالُوا: لَا بِشَيْءٍ مِنْ نِعَمِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ فَلَكَ الْحَمْدُ.– أخرجه التّرمذيّ والحاكم. (٤)

---

(١) صحيح مسلم | كِتَابٌ: الْمَسَاجِدُ وَمَوَاضِعُ الصَّلَاةِ | بَابٌ: اسْتِحْبَابُ تَطْوِيلِ الْقِرَاءَةِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ، رقم الحديث: ٧٧٢، وسنن النّسائيّ | كِتَابُ قِيَامِ اللَّيْلِ وَتَطَوُّعِ النَّهَارِ | بَابٌ: تَسْوِيَةُ الْقِيَامِ وَالرُّكُوعِ، رقم الحديث: ١٦٦٤. كان في الأصل مختصرا.

(٢) المنهاج (٦: ٦٢) ملخصا.

(٣) ينظر: سنن أبي داود | كِتَابُ الصَّلَاةِ | تَفْرِيعُ أَبْوَابِ الرُّكُوعِ وَالسُّجُود | بَابٌ: مَا يَقُولُ الرَّجُلُ فِي رُكُوعِه وَسُجُودِه، الرقم: ٨٧٣، سنن الترمذي | أَبْوَابُ الصَّلَاةِ عَنْ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ | بَابٌ: مَا جَاءَ فِي التَّسْبِيحِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُود، الرقم: ٢٦٢، سنن النسائي | بَابُ التَّطْبِيقِ | نَوْعٌ آخَرُ، الرقم: ١٠٠٩، والمسند للإمام أحمد: ٢٣٩٨٠.

(٤) سنن التّرمذيّ | أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ | بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ الرَّحْمَنِ، رقم الحديث: ٣٢٩١، والمستدرك على الصّحيحين (٢: ٥١٥)، رقم الحديث: ٣٧٦٦.

٣٤. عن عَلْقَمَةَ رحمه الله تعالى قال: صَلَّيْتُ إِلَى جَنْبِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَافْتَتَحَ سُوْرَةَ طهَ، فَلَمَّا بَلَغَ ﴿رَبِّ زِدْنِيْ عِلْمًا﴾ قَالَ: رَبِّ زِدْنِيْ عِلْمًا، رَبِّ زِدْنِيْ عِلْمًا مُكَرَّرًا.

قال في الإتحاف: أخرجه ابن ابي داود في كتابه "الشّريعة". (١)

٣٥. عن جابر رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ ﴿وَاِذَا سَاَلَكَ عِبَادِىْ عَنِّىْ فَاِنِّىْ قَرِيْبٌ﴾ الآية [البقرة: ١٨٦]. فَقَالَ: اَللَّهُمَّ أَمَرْتَ بِالدُّعَاءِ وَتَكَلَّفْتَ بِالْإِجَابَةِ. اَللَّهُمَّ لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ لَا شَرِيْكَ لَكَ لَبَّيْكَ. إِنَّ الحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لَا شَرِيْكَ لَكَ أَشْهَدُ.– أخرجه ابن مَرْدَوَيْه والدَّيْلَمِيُّ وابن أبي الدّنيا وغيرهم. (٢)

قال الإمام الغَزَالِيُّ في "الإحياء" والإمام الزَّبِيْدِيُّ الحنفيّ في "الإتحاف": ومن الآداب في أثناء القراءة إذ مرّ بآية فيها تسبيح سبّح وكبّر، وإن مرّ بآية دعاء واستغفار دعا بما يليق بمقام الآية واستغفر، وإن مرّ بآية تضرّع وسؤال تملّق وتضرّع وسأل، وإن مرّ بآية تخويف استعاذ، ويفعل ذلك بلسانه أو بقلبه أو بهما وهو الأفضل، انتهى. (٣)

٣٦. عن أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: أَبْطَأْتُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ الْعِشَاءِ تعني في المسجد، ثُمَّ جِئْتُ فَقَالَ صلى الله عليه وسلم : أَيْنَ كُنْتِ؟ فَقُلْتُ: كُنْتُ أَسْتَمِعُ قِرَاءَةَ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِكَ لَمْ أَسْمَعْ مِثْلَ قِرَاءَتِهِ وَصَوْتِهِ مِنْ أَحَدٍ .قَالَتْ: فَقَامَ وَقُمْتُ مَعَهُ حَتَّى اسْتَمَعَ لَهُ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيَّ، فَقَالَ: هَذَا سَالِمٌ مَوْلَى

---

(١) إتحاف السّادة المتّقين بشرح إحياء علوم الدّين (٤: ٤٩١).

(٢) تخريج أحاديث إحياء علوم الدّين (٢: ٧٠٦). كان الحديث في الأصل ناقصا.

(٣) إتحاف السّادة المتّقين بشرح إحياء علوم الدّين (٤: ٤٩١).

أَبِي حُذَيْفَةَ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي أُمَّتِي مِثْلَ هَذَا.– أخرجه ابن ماجه بإسناد حسن، والحاكم وصحّحه، والبزّار وغيرهم. (١)

٣٧. عن عَلْقَمَةَ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى قَالَ: كُنْتُ رَجُلًا حَسَنَ الصَّوْتِ فَكَانَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُرْسِلُ إِلَيَّ، فَآتِيْهِ فَأَقْرَأُ فَيَقُوْلُ: رَتِّلْ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي! فَإِنِّيْ سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُوْلُ: حُسْنُ الصَّوْتِ زِيْنَةُ الْقُرْآنِ.– أخرجه أبو نُعيم في "المستخرج" وابن أبي داود في كتاب "الشّريعة". (٢)

٣٨. عن أبي موسى رضي الله عنه عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال له: يَا أَبَا مُوْسَى! لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ، فَقَالَ: يَا رَسُوْلَ اللهِ، لَوْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْمَعُ لَحَبَّرْتُهُ لَكَ تَحْبِيْرًا.

قال العراقيّ: أخرجه البخاريّ ومسلم. قال الحافظ وغيره: ورواه النّسائيّ من حديث عائشة، وأخرجه أبو نعيم وغيرهم. (٣)

٣٩. عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ أَبَا مُوْسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَانَ يَقْرَأُ لَيْلَةً، فَجَعَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ يَسْتَمِعْنَ لِقِرَاءَتِه، فَلَمَّا أَصْبَحَ أُخْبِرَ بِذَلِكَ فَقَالَ: لَوْ عَلِمْتُ لَحَبَّرْتُهُ لَهُنَّ تَحْبِيْرًا، الخ.– أخرجه أحمد بن مَنِيْعٍ في "مسنده"، وابن سَعْدٍ في "الطَّبَقات". (٤)

---

(١) سنن ابن ماجه | كِتَابٌ: إِقَامَةُ الصَّلَاةِ وَالسُّنَّةُ فِيهَا | بَابٌ: فِي حُسْنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ، رقم الحديث: ١٣٣٨، المستدرك على الصّحيحين (٣: ٢٥٠)، وتخريج أحاديث إحياء علوم الدّين (٢: ٧٠٠).

(٢) تخريج أحاديث إحياء علوم الدّين (٢: ٧٠٢).

(٣) ينظر: صحيح البخاريّ: ٥٠٤٨، صحيح مسلم: ٧٩٣، وتخريج أحاديث إحياء علوم الدّين (٢: ٧٠٣).

(٤) تخريج أحاديث إحياء علوم الدّين (٢: ٧٠٣). قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: وأخرجه أبو يعلى من طريق سعيد بن أبي بُرْدَةَ عن أبيه بزيادة فيه: أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وعائشة مرّا بأبي موسى وهو يقرأ في بيته، فقاما يستمعان لقراءته، ثمّ إنّهما مضيا. فلمّا أصبح لقي أبو موسى رسول الله

٤٠. عن أبي ذرّ رضي الله عنه قال: قَامَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِنَا ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَامَ بِآيَةٍ يُرَدِّدُهَا وَهِيَ ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۚ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ﴾. (١)

قال العراقيّ: رواه النّسائيّ وابن ماجه بسند صحيح. وأخرجه الضّياء المَقْدِسيُّ في "المختارة"، والإمام أحمد وغيرهم. (٢)

قال الإمام الغَزَالِيُّ في "الإحياء" والإمام الزَّبِيْدِيُّ الحنفيّ في "الإتحاف" في بيان الآداب الباطنة لتلاوة القرآن مالبّه: الثّاني: التّعظيم للمتكلّم. فينبغي أن يحضر في قلبه جلالة المتكلِّم وهيبته، ويعلم أنّ المقروء ليس من كلام البشر، وأنّ له في تلاوته حسبما له من تعظيم كلام الله والفهم، والمشاهدة منه، والمعاملة به، لأنّه من أكبر شعائر الله تعالى في أرضه، ومن أعظم آيات الله الدالّة عليه في خلقه.

صلّى الله عليه وسلّم فقال: يا أبا موسى، مررت بك فذكر الحديث فقال: أما إني لو علمت بمكانك لحبّرته لك تحبيرا، ولابن سعد من حديث أنس بإسناد على شرط مسلم: أنّ أبا موسى قام ليلة يصلّي، فسمع أزواج النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم صوته – وكان حلو الصّوت – فقمن يستمعن، فلمّا أصبح قيل له، فقال: لو علمت لحبّرته لهن تحبيرا.

وللرُّوْيَانِيّ من طريق مالك بن مغول عن عبد الله بن بريدة عن أبيه نحو سياق سعيد بن أبي بردة وقال فيه: لو علمت أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يستمع قراءتي لحبّرتها تحبيرا. وأصلها عند أحمد، وعند الدَّارِمِيِّ من طريق الزّهريّ عن أبي سلمة بن عبد الرّحمن أنّ رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – كان يقول لأبي موسى – وكان حسن الصّوت بالقرآن: لقد أوتي هذا من مزامير آل داود، فكأنّ المصنّف أشار إلى هذه الطّريق في التّرجمة، وأصل هذا الحديث عند النّسائيّ من طريق عمرو بن الحارث عن الزّهريّ موصولًا بذكر أبي هريرة فيه ولفظه: أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم سمع قراءة أبي موسى فقال: لقد أوتي من مزامير آل داود.– فتح الباري بشرح صحيح البخاريّ (١١: ٢٩٦)، دار طيبة.

(١) من سورة المائدة: ١١٨.

(٢) تخريج أحاديث إحياء علوم الدّين (٢: ٧٠٤)، سنن النّسائيّ: ١٠١٠، سنن ابن ماجه: ١٣٥٠، المسند للإمام أحمد: ٢١٣٢٨.

وكان عِكْرِمَةُ بن أبي جهل رضي الله عنه إذا نشر المصحف غشّي عليه وبكى، ويقول: هو كلام ربّي، هو كلام ربّي....(إلى أن قالا): والرّابع: التّدبّر، فليردّد الآية للتّدبّر، وهو مرويّ عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من حديث أبي ذرّ رضي الله عنه كما مرّ.

وقام تميم بن أَوْسٍ الدَّارِيُّ رضي الله عنه ليلة بهذه الآية ﴿اَمْ حَسِبَ الَّذِيْنَ اجْتَرَحُوا السَّيِّاٰتِ اَنْ نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِيْنَ اٰمَنُوْا وَعَمِلُوا الصّٰلِحٰتِ ۙ سَوَاۤءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۭ سَاۗءَ مَا يَحْكُمُوْنَ﴾(١) وقام سعيد بن جُبير رحمه الله تعالى ليلةً بهذه الآية ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ اَيُّهَا الْمُجْرِمُوْنَ﴾. (٢)

وردّد ابن مسعود رضي الله عنه قوله تعالى ﴿رَبِّ زِدْنِيْ عِلْمًا﴾(٣) حتّى أصبح. وردّدت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قوله تعالى ﴿فَمَنَّ اللّٰهُ عَلَيْنَا وَوَقٰنَا عَذَابَ السَّمُوْمِ﴾(٤) وردّدت عائشة رضي الله عنها يومًا قوله تعالى ﴿فَمَنَّ اللّٰهُ عَلَيْنَا وَوَقٰنَا عَذَابَ السَّمُوْمِ﴾ تبكي وتردّدها.

قال الزَّبِيْدِيُّ: هذه آثار الصّحابة، وفي الباب آثار كثيرة عن الصّحابة والتّابعين، أخرجها أبو عبيد في "كتاب الفضائل"، وابن أبي داوود في "كتاب الشّريعة"، والإمام أحمد في "مسنده"، وابنه في "الزّوائد"، والطَّبَرَانِيُّ وغيرهم، إلّا أنّ الفهم والتّدبّر يختلف باختلاف الأشخاص.

فعلماء الرّسوم ليس لهم سوى معرفة الألفاظ والمعاني بحسب اللّغة. وأمّا علماء الحقيقة فلهم في ذلك مراقبات ومكاشفات ومشاهدات، فإنّ القرآن كلام الله تعالى غير

---

(١) من سورة الجاثية: ٢١.

(٢) من سورة يس: ٥٩.

(٣) من سورة طه: ١١٤.

(٤) من سورة الطّور: ٢٧.

مخلوق، وهو المنزّل على رسولنا، المكتوب في مصاحفنا، المحفوظ في صدورنا، المقروء بألسنتنا، المسموع بآذاننا غير حالّ في شيء منها.

ففي قراءة القرآن واستماعه يتجلّى ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله لقلوب أولي الألباب من الصّدّيقين والشّهداء والصّالحين تجلّيًا يليق بجنابه تعالى، فهم مختلفون في تلك المشاهدة بحسب اختلاف أحوالهم. (١)

وقالا أيضًا: قال قتادة رحمه الله تعالى: لم يجالس أحد هذا القرآن إلّا قام بزيادة أو نقصان. قال الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾. (٢)

ومن التّأثّر أن يتأثّر القلب عند التّلاوة بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات، فيكون له بحسب كلّ فهم حال ووجد يتّصف به قلبه من الحزن والبكاء والخوف والرجاء وغيره، وأن يراقب كمال المراقبة مع المولى الجليل، وأن يشهد أنّ مولاه يخاطبه بكلامه.

ثمّ أطالا في ذلك ثمّ قالا: ومن راعى هذه الأمور عند تلاوة القرآن الكريم فجدير بأن يكون حاله الخشية والحزن والوجد والبكاء وتغيرّ اللّون والصعقة وغير ذلك، انتهى ما قال الغَزَالِيُّ والزَّبِيْدِيُّ ملخّصًا معنًى. (٣)

الوجد والصّعق في مجلس القرآن

٤١. عن حَمْدَانَ بن أَعْيُنٍ قال: سَمِعَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يَقْرَأُ ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ۙ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾(١) فَصَعِقَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.– أخرجه ابن أبي داود في "كتاب الشّريعة".

---

(١) تقدّمت التّفاصيل عن "التّبيان"، فراجعه إن شئت.

(٢) من سورة بني إسرائيل: ٨٢ .

(٣) إتحاف السّادة المتّقين بشرح إحياء علوم الدّين (٤: ٥٠٣).

قال العراقيّ: رواه ابن عديّ في "الكامل" والبيهقيّ في "الشعب" من حديث أبي حَرْبَ بن أبي الأسود مرسلًا، انتهى. (٢)

قال الغَزَالِيُّ والزّبيديّ: ولقد كان في الخائفين من خرّ مغشيًّا عليه عند سماع القرآن، فمنهم من مات عند سماع بعض الآيات. وقد صنّف في ذلك الإمام أبو إسحاق الثَّعْلَبِيُّ المفسّر مؤلَّفًا مستقلًّا سمّاه "قَتْلى القرآن"، ذكر فيه عددًا كثيرًا.

وقد أخرجه عبد الله بن أحمد في "زوائد المسند" عن أبي وائل قال: خَرَجْنَا مَعَ عَبْد اللهِ بْنِ مَسْعُوْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَمَعَنَا الرَّبِيْعُ بْنُ خَيْثَمٍ، فَمَرَرْنَا عَلَى حَدَّاد، فَقَامَ عَبْدُ اللهِ يَنْظُرُ إِلَى حَدِيْده فِي النَّار، فَنَظَرَ إِلَيْهَا الرَّبِيْعُ فَتَمَايَلَ لِلتَّيَقُّظ. فَمَضَى عَبْدُ اللهِ حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى أَتُّوْنٍ(٣) بِشَاطِئِ الْفُرَات [فَلَمَّا رَآهُ عَبْدُ اللهِ والنَّارُ تَلْتَهِبُ فِيْه](٤) قَرَأَ ﴿اِذَا رَاَتْهُمْ مِّنْ مَّكَانٍ بَعِيْدٍ سَمِعُوْا لَهَا تَغَيُّظًا وَّزَفِيْرًا وَاِذَآ اُلْقُوْا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِيْنَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوْرًا﴾.(٥) فَصَعِقَ الرَّبِيْعُ فَاحْتَمَلْنَاهُ إِلَى أَهْله، فَرَابَطَهُ عَبْدُ اللهِ إِلَى الظُّهْرِ فَلَمْ يُفِقْ، ثُمَّ رَابَطَهُ إِلَى الْعَصْرِ فَلَمْ يُفِقْ، ثُمَّ رَابَطَهُ إِلَى الْمَغْرِبِ فَلَمْ يُفِقْ، ثُمَّ أَفَاقَ فَتَوَجَّهَ عَبْدُ اللهِ إِلَى أَهْلِه. (٦)

٤٢. قال الله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾(٧) فالقرآن من أجلّ آيات الله تعالى، وهو المبيّن لتلك الآيات في السّماوات والأرض، ومهما تجاوزها ولم يتأثّر بها كان معرضًا عنها، كذا في "الإحياء". (١)

---

(١) من سورة المزّمّل: ١٢-١٣.

(٢) تخريج أحاديث إحياء علوم الدّين (٣: ١٣٣٩).

(٣) "عَلَى أَتُّوْنٍ": ساقط من الأصل.

(٤) ما بين المعكوفين ساقط من الأصل.

(٥) من سورة الفرقان: ١٢ - ١٣. في الأصل كانت الآية الثّانية ناقصة.

(٦) إتحاف السّادة المتّقين بشرح إحياء علوم الدّين (٥: ١١٣)، العلمية.

(٧) من سورة يوسف: ١٠٥.

٤٣. عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صَوْتًا بِالْقُرْآنِ الَّذِيْ إِذَا سَمِعْتَ قِرَاءَتَهُ حَسِبْتَ أَنَّهُ يَخْشَى اللهَ.– أخرجه ابن ماجه.(٢) وفي إسناده ضعف إلّا أنّ له شواهد ذكرها في الإتحاف. (٣)

قال الغَزَالِيُّ في "الإحياء": درجات القراءة ثلاث:

أ. أدناها أن يقدر العبد كأنّه يقرئه على الله عزّ وجلّ، واقفًا بين يديه وهو ناظر إليه ومستمع منه، فيكون حاله عند هذا التّقدير: السّؤال والتّملّق والتّضرّع والابتهال.

ب. أن يشهد بقلبه كأنّ الله عزّ وجلّ يراه ويخاطبه بألطافه، ويناجيه بإنعامه وإحسانه، فمقامه الحياء والتّعظيم والإصغاء والفهم.

ج. أن يرىٰ في الكلام: المتكلّم، وفي الكلمات: الصّفات، ويكون مستغرقًا بمشاهدة المتكلّم عن غيره. وقد قال جعفر بن محمّد الصّادق: والله لقد تجلّى الله عزّ وجلّ لخلقه في كلامه ولكنّهم لا يبصرون، انتهى. (٤)

البكاء والصّعق في مجلس القرآن

٤٤. عن محمّد بن فَضَالَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَاهُمْ فِيْ مَسْجِدِ بَنِيْ ظَفَرٍ – فَجَلَسَ عَلَى الصَّخْرَةِ الَّتِيْ فِيْ مَسْجِدِ بَنِيْ ظَفَرٍ الْيَوْمَ – وَمَعَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُوْدٍ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – وَنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَأَمَرَ – النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – قَارِئًا فَقَرَأَ فَأَتَى عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ

---

(١) إحياء علوم الدّين (١: ٢٨٦) ملخّصا، طبع دار المعرفة – بيروت.

(٢) ينظر: سنن ابن ماجه | كِتَابٌ: إِقَامَةُ الصَّلَاةِ وَالسُّنَّةُ فِيهَا | بَابٌ: فِي حُسْنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ، رقم الحديث: ١٣٣٩.

(٣) إتحاف السّادة المتّقين بشرح إحياء علوم الدّين (٤: ٥٢١). قال السّنديّ في حاشيته على "سنن ابن ماجه": وفي الزّوائد إسناده ضعيف، لضعف إبراهيم بن إسماعيل بن مُجَمِّعٍ والرّاوي عنه.

(٤) إحياء علوم الدّين (١: ٢٨٧)، إتحاف السّادة المتّقين بشرح إحياء علوم الدّين (٥: ١٣٢).

بشَهِيْدٍ وَّجِئْنَا بِكَ عَلٰى هٰؤُلَاءِ شَهِيْدًا﴾(١) فَبَكَى رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ حَتَّى اضْطَرَبَ لَحْيَاهُ – وَجَنْبَاهُ، وَقَالَ: يَا رَبِّ! هَذَا شَهِدْتُ عَلَى مَنْ أَنَا بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ، فَكَيْفَ بِمَنْ لَمْ أَرَهُ؟. أخرجه ابن أبي حاتم والبَغَوِيُّ وَالطَّبَرَانِيُّ بسندٍ حسنٍ. (٢)

---

(١) من سورة النّساء: ٤١.

(٢) قال العراقيّ: وأخرجه ابن أبي شيبة وأحمد وعبد بن حميد والتّرمذيّ والنّسائيّ وابن المنذر وابن أبي حاتم، والبيهقيّ في "الدّلائل" بطرق عن ابن مسعود قال قال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: اقرأ عليّ، قلت: يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: نعم إنّي أحبّ أن أسمعه من غيري، فقرأت سورة النّساء حتّى أتيت إلى هذه الآية ﴿فَكَيْفَ اِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ اُمَّةٍ بِشَهِيْدٍ وَّجِئْنَا بِكَ عَلٰى هٰؤُلَاءِ شَهِيْدًا﴾ فقال: حسبك، فإذا عيناه تذرفان. وأخرج الحاكم وصحّحه من حديث عمرو بن حُرَيْث قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لابن مسعود: اقرأ، فساق الحديث، وفيه فاستعبر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وكفّ عبد الله.

وأخرج ابن أبي حاتم، والبَغَوِيُّ في "معجمه"، والطَّبَرَانِيُّ بسند حسن عن محمّد بن فضالة الأنصاريّ وكان ممّن صحب النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أتاهم في بني ظفر، ومعه ابن مسعود ومعاذ بن جبل وناس من أصحابه، فأمر قارئاً فقرأ فأتى على هذه الآية ﴿فَكَيْفَ اِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ اُمَّةٍ﴾ إلى قوله ﴿شَهِيْدًا﴾، فبكى حتّى اضطرب لحياه وجنباه، وقال: يا ربّ هذا شهدت على من أنا بين ظهريه فكيف بمن لم أره؟ وفي رواية أخرى أنّه صلّى الله عليه وسلّم قرئ عنده قوله تعالى ﴿اِنَّ لَدَيْنَآ اَنْكَالًا وَّ جَحِيْمًا ۙ وَّطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَّعَذَابًا اَلِيْمًا﴾ فصعق. قال العراقيّ: رواه ابن عديّ في "الكامل" والبيهقيّ في "الشّعب" من طريقه من حديثه أبي حرب بن أبي الأسود مرسلًا.

قلت: الصّحيح أنّه مُعْضَلٌ، قال أبو عبيد في "فضائل القرآن": حدّثنا وكيع حدّثنا حمزة الزّيات عن حمران بن أعين قال: سمع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم رجلاً يقرأ ﴿اِنَّ لَدَيْنَآ اَنْكَالًا وَّ جَحِيْمًا ۙ وَّطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَّعَذَابًا اَلِيْمًا﴾ فصعق، وهكذا أخرجه أبو بكر ابن أبي داود في "فضائل القرآن" عن هَانِئٍ محمّد بن أبي الحبيب عن وكيع، وحُمْرَانَ ضعيف، وقد ذكره ابن عديّ في ترجمته في "الكامل" من جملة ما أنكر عليه، وأخرجه من وجه آخر ضعيف عن حمزة بن حُمْرَانَ عن أبي حرب بن أبي الأسود، وزيادة أبي حرب فيه ضعيفة وهو من ثقات التّابعين، حقّقه الحافظ ابن حجر في أمالي الأذكار.– تخريج أحاديث إحياء علوم الدّين (٣: ١٣٣٨).

٤٥. عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَرَأَ ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾(١) فَبَكَى.- أخرجه مسلم، وأخرجه النّسائيّ وابن حِبَّانَ، والبَيْهَقِيُّ في "الأسماء والصّفات" بنحوه.(٢)

وعندهم من الزّيادة في آخر الحديث: فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: اَللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي، وَبَكَى، فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: يَا جِبْرِيْلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّد، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ، فَسَلْهُ مَا يُبْكِيْكَ؟ فَأَتَاهُ جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُوْلُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ اللهُ: يَا جِبْرِيْلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيْكَ فِيْ أُمَّتِكَ وَلَا نَضُرُّكَ. (٣)

بعض حكايات الصّالحين عند سماع القرآن

قال الإمام الغَزَالِيُّ والزَّبِيْدِيُّ في الإتحاف: وأمّا ما نقل من الوجد بالقرآن عن الصّحابة والتّابعين فكثير: فمنهم من صعق، ومنهم من بكى، ومنهم من غشى عليه، ومنهم من مات في غشيته.

وقد جمع الإمام الثّعلبيّ في كتابه "قتلى القرآن" عددًا كثيرًا منهم. وقد أخرج أبو عبيد في "فضائل القرآن" وابن أبي داود في "كتاب الشّريعة" جملة من التّابعين ومن بعدهم ممّن صعق عند قراءة القرآن، فمنهم زُرارة بن أوفى. فقد أخرج التّرمذيّ من حديث

---

(١) من سورة المائدة: ١١٨.

(٢) صحيح مسلم: ٢٠٢، سنن النّسائيّ: ١٠١٠، صحيح ابن حبَّانَ (١٦: ٢١٦)، رقم الحديث: ٧٢٣٤، تحقيق: شعيب الأَرْنَاؤُوْطُ، مؤسّسة الرّسالة، الأسماء والصّفات للبيهقيّ: (١: ٥٣٤)، رقم الحديث: ٥٦٠.

(٣) ينظر: صحيح مسلم: ٢٠٢. في الأصل: "جِبْرَائِيْلُ" وهو مشهور، والأصحّ "جِبْرِيْلُ" كما ورد في التّنزيل، ويصحّ "جَبْرَائِيْلُ" بفتح الجيم، وبكسرها.

عَوْف بْنِ ذَكْوَانَ أنّه قال: صَلَّى بِنَا زُرَارَةُ بْنُ أَوْفَى صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَلَمَّا بَلَغَ ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾[المدّثر: ٨] فَشَهِقَ شَهْقَةً فَمَاتَ. (١)

ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقد روي أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝ مَّا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾[الطّور: ٧-٨] فَصَاحَ صَيْحَةً فَخَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، إلى آخرها. (٢)

قال ابن العليم: وأثر عمر رضي الله عنه هذا قد أخرجه في "كتر العمّال"، وأخرج ابن أبي شيبة عن الحسن أنّ عمر رضي الله عنه يمرّ بالآية فتخنقه(٣) العبرة فيبكي حتّى يسقط، ثمّ يلزم بيته حتّى يعاد يحسبونه مريضا. (٤)

وأمّا سماع نشيج(٥) عمر رضي الله عنه بالقراءة في الصّلاة من مؤخّر الصّفوف فقد ذكره جملة من التّابعين. وقد أخرج ذلك البخاريّ في "صحيحه" تعليقًا في "باب بكاء الإمام في الصّلاة".(٦) وقال في "المحكم": النشيج: شدة البكاء. (٧)

---

(١) سنن الترمذي: ٤٤٥.

(٢) إتحاف السّادة المتّقين بشرح إحياء علوم الدّين (٥: ٥٥٢)، وإحياء علوم الدين (١: ٣٩٢)، دار القلم.

(٣) في الأصل: "فتنخقه"، وهو تصحيف.

(٤) ينظر: إحياء علوم الدين (١: ٣٦٢)، العلمية، إتحاف السادة المتقين (٥: ٦١)، العلمية، والمصنّف لابن أبي شَيْبَةَ (٨: ١٤٧).

(٥) النّشيج: هو الصّوت المتردّد في الصّدر عند البكاء من غير انتحاب. (المعجم الوسيط ص ٩٥٩).

(٦) قال البخاريّ رحمه الله تعالى في صحيحه: باب: إذا بكى الإمام في الصّلاة، وقال عبد الله بن شداد: سمعت نشيج عمر وأنا في آخر الصّفوف يقرأ: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾. ثمّ ساق حديث إمامة الصّديق ما روي عن عائشة رضي الله عنها.- فتح الباري (٢: ٢٤١)، طبع الرياض.

(٧) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم، وهو أحد المعاجم الجامعة في اللغة العربية، ألفه أبو الحسن علي بن إسماعيل، المعروف بابن سِيدَه المُرسيّ الأندلسي، المتوفى سنة ٤٥٨ هـ.

وأمّا بكاء أبي بكر عند قراءة القرآن فهو أشهر من أن يخفي. فقد أورد البخاريّ في "صحيحه" مرارًا: أنّ أبا بكر رجل بكّاء، لا يملك عينيه عند قراءة القرآن. ومنهم أبو أُسَيْدٍ من صغار التّابعين، أخرج ابن أبي داود من طريق خُلَيْدِ بن سَعْدٍ، وكان حسن الصّوت بالقرآن، وكان يقرأ عند أمّ الدرداء رضي الله عنها، وكان أهل المسجد يجتمعون عندها، وكان أبوه أُسَيْدٌ إذا حضر قالت أم الدرداء لِخُلَيْدٍ: لا تقرأ بآية شديدة تشدّ على الرّجل، وكان يصعق إذا سمع بآية شديدة.

قال ابن أبي داود: وكان أبو سعيد مستجابَ الدّعوات، يقال: إنّه من الأبدال.(١) وكان المِسْوَرُ بن مَخْرَمَةَ رضي الله عنه لا يقوى أن يسمع القرآن لشدّة خوفه، ولقد كان يقرأ عنده الحرف أو الآية فيصيح الصّيحة، فما يعقل أياماً.

وقرئ عند يحيى البَكَّاءِ رحمه الله تعالى ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ اِذْ وُقِفُوْا عَلٰى رَبِّهِمْ ۗ قَالَ اَلَيْسَ هٰذَا بِالْحَقِّ ۗ قَالُوْا بَلٰى وَرَبِّنَا ۗ قَالَ فَذُوْقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُوْنَ﴾(٢) فصاح صيحةً، ومكث منها مريضًا أربعة أشهر، يعاد من أطراف البصرة. أخرجه ابن أبي الدّنيا في "كتاب الخائفين". (٣)

وقال صالح المُرِّي رحمه الله تعالى: قرأت على رجل من المتعبّدين ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوْهُهُمْ فِى النَّارِ يَقُوْلُوْنَ يٰلَيْتَنَآ اَطَعْنَا اللّٰهَ وَاَطَعْنَا الرَّسُوْلَا﴾(٤) فصعق، ثمّ أفاق فقال: يا صالح! زدني فقرأت ﴿كُلَّمَآ اَرَادُوْٓا اَنْ يَّخْرُجُوْا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ اُعِيْدُوْا فِيْهَا﴾(١) فخرّ ميتًا.

---

(١) قال الحافظ ابن حجر: الأبدال، وردت في عدّة أخبار، منها ما يصحّ، ومنها ما لا يصحّ. وأمّا القطب، فورد في بعض الآثار. وأمّا الغوث بالوصف المشتهر عند الصّوفية، فلم يثبت.– هامش "الرّفع والتّكميل في الجرح والتّعديل" لِلْكَنَوِيِّ، ص ٣٧٤، للشّيخ عبد الفتّاح أبو غدّة الحَلَبِي رحمه الله تعالى، دار البشائر الإسلامية – بيروت.

(٢) من سورة الأنعام: ٣٠.

(٣) ينظر: تاريخ مدينة دمشق (٣٦: ٨)، العلمية.

(٤) من سورة الأحزاب: ٦٦.

وذهب عمرو بن ميمون بأبيه ميمون إلى الحسن البصريّ رحمه الله، فقال ميمون: يا أبا سعيد! إنّي قد آنست من نفسي غلظةً، فقرأ الحسن رحمه الله: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ، اَفَرَءَيْتَ اِنْ مَّتَّعْنٰهُمْ سِنِيْنَ ۙ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَّا كَانُوْا يُوْعَدُوْنَ ۙ مَآ اَغْنٰى عَنْهُمْ مَّا كَانُوْا يُمَتَّعُوْنَ﴾(٢) قال: فسقط الشّيخ فرأيته يحفص برجليه كما تفحص الشّاة المذبوحة، إلى آخره. أخرجه أبو نُعيم في "الحِلْيَة". (٣)

وقال صالح المُري: قرأت على متعبّد ﴿اِذِ الْاَغْلٰلُ فِيْٓ اَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلٰسِلُ يُسْحَبُوْنَ فِى الْحَمِيْمِ ۙ ثُمَّ فِى النَّارِ يُسْجَرُوْنَ﴾(٤) فشهق الرّجل شهقةً وخرّ مغشيًا عليه، وقرأت على آخر ﴿ذٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِىْ وَخَافَ وَعِيْدِ﴾(٥) فشهق شهقةً وخرّ مغشيًّا عليه، وبدر الدّم من منخريه، وجعل يتشحّط(٦) في دمه حتّى يبس. (٧)

تنبيه بليغ

قال الإمام الغَزَاليّ في "الإحياء"، والإمام الزَّبِيْديُّ في "الإتحاف" بعد أن ذكرا طُرُقًا في الفكر والتّفكّر ممّا يتعلّق بالتّزكية والتّحلية ما نصّهما: أمّا مجامع الفكر فلا يوجد فيه أجمع ولا أنفع من قراءة القرآن بالتّفكّر، فإنّه جامع لجميع المقامات والأحوال، وهو التّرياق الأكبر، وفيه شفاء للعالمين ورحمة للمؤمنين، وفيه ما يورث الخوف والرّجاء، والصّبر والشّكر، والمحبّة والشّوق، وسائر الأحوال، وفيه ما يزجر عن سائر الصّفات

---

(١) من سورة السّجدة: ٢٠.

(٢) من سورة الشّعراء: ٢٠٥-٢٠٧.

(٣) ينظر: حِلْيَةُ الأولياء وطبَقات الأصفياء لأبي نُعيم (٤: ٨٤)، دار الكتاب العربي – بيروت.

(٤) من سورة المؤمن: ٧١ – ٧٢.

(٥) من سورة إبراهيم: ١٤.

(٦) أي تمرّغ فيه وتخبّط. شحطه في دمه وبدمه: جعله يضطرب ويتخبّط فيه. (المعجم الوسيط ص ٤٩٣).

(٧) إتحاف السّادة المتّقين (١١: ٥٠٤) ملخصا، العلمية.

المذمومة، فينبغي أن يقرأه العبد ويردّد الآية الّتي هو محتاج إلى التّفكّر فيها مرّة بعد أخرى ولو مأة مرّة، فقراءة آية بتفكّر وفهم خير من ختمة كاملة بغير تدبّر وفهم.....(إلى أن قالا): وعجائب القرآن لاتحصى، وكذلك مطالعة أخبار رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فإنّه قد أوتيَ جوامع الكَلِم، انتهى. (١)

٤٦. قال الحافظ ابن حجر والنَّوَوِيُّ والبيضاوي وغيرهم: إنّ القرآن الكريم أفضل الذّكر. (٢)

وقد قدّمنا عن "شرح المنية": أنّ استماع القرآن أفضل من التّلاوة وسائر التّطوّع(٣)، وكذا جميع ما قدّمنا من الآيات القرآنية الّتي تدلّ دلالةً واضحةً على أفضلية الاستماع من سائر النّوافل بوجوه:

أ. أنّ الاستماع فرض، والفرض يكون أفضلَ من التّطوّع إلّا في مسألة ردّ السّلام، والفرق بينهما واضح، ولذا قال "في شرح المنية" بأفضليّته من التّطوّع مطلقًا.

ب. قال فيه: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُوْنَ﴾. (٤)

ج. ورد النّصّ القاطع بزيادة الإيمان به حتّى قال: أُولئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُوْنَ حَقًّا﴾. (٥)

د. إنّه قال: إنّهم ممّن هداه الله واجتباه. (٦)

---

(١) إتحاف السّادة المتّقين (١٣: ٣٣١– ٣٣٤) ملخصا.

(٢) فتح الباري (١١: ١٧٣).

(٣) تقدّم تخريجه.

(٤) من سورة الأعراف: ٢٠٨.

(٥) من سورة الأنفال: ٤. ولزيادة المعلومات في هذه المسألة فليراجع "مسألة زيادة الإيمان ونقصانه"، للمصنّف العلّام رحمه الله تعالى، الّذي أملاه على تلاميذه.

(٦) ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩﴾. (المريم: ٥٨).

هـ. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾. (١)

و. هم من أهل الخشية.

إذا تقرّر هذا فكلّ ما ورد في الكتاب والسّنّة ممّا يتعلّق بفضائل الذّكر ومجلسه، والتّرغيب إليه فهو شامل لتلاوة القرآن والاستماع له، وللمجلس المنعقد لذلك كما هو الظّاهر، لأنّ القرآن الكريم هو الفرد الكامل، والمطلق ينصرف أوّلًا إلى الفرد الكامل، وفي الدّلائل المارّة ما هو صريح في ذلك، وما هو مجمل، والمجمَل يُفَسَّرُ بالمفسِّر. وقد أطلق لفظ الذّكر على القرآن في القرآن مرارًا:

أ. قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. (٢)

ب. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾. (٣)

ج. وقال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾. (٤)

د. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾. (٥)

هـ. وقال تعالى: ﴿ص ۚ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾. (٦)

و. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾. (٧)

ح. وقال تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾. (٨)

---

(١) من سورة الزّمر: ١٨.

(٢) من سورة الحجر: ٩.

(٣) من سورة الزّخرف: ٣٦.

(٤) من سورة النّجم: ٢٩.

(٥) من سورة طه: ١٢٤.

(٦) من سورة الصّاد: ١.

(٧) من سورة الزّخرف: ٤٤.

(٨) من سورة الأنبياء: ٢.

ط . وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾. (١)

٤٧. عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدريّ رضي الله عنهما أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ.- أخرجه مسلم والطَّيَالِسيّ وأبو عَوَانَةَ وغيرهم. (٢)

٤٨. عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ؛ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ.- أخرجه مسلم وابن حِبَّانَ وابن أبي شيبة، وأخرجه ابن شاهين من حديث ابن مسعود وأبي هريرة رضي الله عنهما وصحّحه. (٣)

---

(١) من سورة الأنبياء: ة ٥٠.

(٢) ينظر: صحيح مسلم | كِتَابٌ: الذِّكْرُ وَالدُّعَاءُ وَالتَّوْبَةُ وَالاسْتِغْفَارُ | بَابٌ: فَضْلُ الاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، رقم الحديث: ٢٧٠٠، مسند أبي داود الطَّيَالِسِيّ (٣: ٦٧٨)، رقم الحديث: ٢٣٤٧، الدّكتور عبد الله محسن التّركيّ، دار هجر، المسند الصحيح المخرج على صحيح مسلم (٢٠: ٤٢٦)، لأبي عوانة يعقوب بن إسحاق الأَسْفَرَائِنِيِّ (ت ٣١٦ هـ)، طبع الجامعة الإسلامية، المملكة العربية السعودية، وتخريج أحاديث إحياء علوم الدّين (٥: ١٩٥).

(٣) ينظر: صحيح مسلم | كِتَابٌ: الذِّكْرُ وَالدُّعَاءُ وَالتَّوْبَةُ وَالاسْتِغْفَارُ | بَابٌ: فَضْلُ الاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، الرقم: ٢٦٩٩، سنن أبي داود | كِتَابُ الصَّلَاةِ | بَابٌ: فِي ثَوَابِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، الرقم: ١٤٥٥، سنن الترمذي | أَبْوَابُ الْقِرَاءَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ | بَابٌ، الرقم :٢٩٤٥، المسند للإمام أحمد (١٢: ٣٤٣)، صحيح ابن حِبَّانَ (٣: ٤٥)، رقم الحديث: ٧٦٨، التّرغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك لابن شاهين، ص ١٥٧، رقم الحديث: ٥٤٧، تحقيق: محمّد حسن إسماعيل، دار الكتب العلميّة، وتخريج أحاديث إحياء علوم الدّين (٢: ٧٢٣).

٤٩. عن معاوية رضي الله عنه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال لجماعة جلسوا يذكرون الله تعالى: **أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ.** أخرجه مسلم. (١)

٥٠. عن أنس رضي الله عنه قال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: **إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ؛ فَارْتَعُوا**(٢) **قَالُوا: وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: حِلَقُ الذِّكْرِ.** أخرجه التّرمذيّ والإمام أحمد والبَيْهَقِيُّ. (٣)

٥١. عن أنس رضي الله عنه قال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: **مَا مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ اللَّهَ، لَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَهُ، إِلَّا نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ قُومُوا مَغْفُورًا**

---

(١) ينظر: صحيح مسلم | كِتَابٌ: الذِّكْرُ وَالدُّعَاءُ وَالتَّوْبَةُ وَالِاسْتِغْفَارُ | بَابٌ: فَضْلُ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، الرقم: ٢٧٠١، سنن التّرمذيّ: ٣٣٧٩، وسنن النّسائيّ: ٥٤٢٦. وهذه قطعة الحديث، والحديث هكذا: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: خَرَجَ مُعَاوِيَةُ عَلَى حَلْقَةٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ. قَالَ: آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟ قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ. قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثًا مِنِّي، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا. قَالَ: آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟ قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ. قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلَكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ.

(٢) الرّتع: الاتّساع في الأكل والشّرب في خصب وسعة، والمراد هاهنا: الإكثار من ذكر الله.– تحفة الأحوذيّ بشرح جامع التّرمذيّ (٩: ٣٤٤).

(٣) سنن التّرمذيّ | أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ | بَابٌ، رقم الحديث: ٣٥١٠، شعب الإيمان (١: ٣٩٨)، العلمية، للبَيْهَقِيِّ (ت ٤٥٨هـ)، والمسند للإمام أحمد (١٩: ٤٩٤)، رقم الحديث: ١٢٥٢٣. ضعّفه شعيب الأَرْنَاؤُوطُ الحنفيّ. قال في "النّهاية في غريب الحديث والأثر": الحِلَق بكسر الحاء وفتح اللّام جمع الحلقة مثل قصعة وقصع، ومرّ الجماعة من النّاس مستديرون كحلقة الباب وغيره، والتّحلّق الفعل منها، وهو أن يتعمّدوا ذلك. وقال الجَوْهَرِيُّ: جمع الحلقة حَلَق بفتح الحاء على غير قياس، وحكي عن أبي عمرو أنّ الواحد حلقة بالتّحريك والجمع حلق بالفتح، وقال ثَعْلَبُ: كلّهم يجيزه على ضعفه.– تحفة الأحوذيّ بشرح جامع التّرمذيّ (٩: ٣٤٥).

لَكُمْ، قَدْ بُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ.– أخرجه الإمام أحمد، والضّياء المَقْدِسيُّ في "المختارة" وأبو يعلى، والطَّبَرَانيُّ في "الأوسط". (١)

٥٢. عن سهل بن الحَنْظَلِيَّة رضي الله تعالى عنه: مَا جَلَسَ قَوْمٌ يَذْكُرُوْنَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فَيَقُوْمُوْنَ حَتَّى يُقَالَ لَهُمْ: قُوْمُوْا قَدْ غَفَرَ اللهُ لَكُمْ ذُنُوْبَكُمْ، وَبُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ.– أخرجه البَيْهَقِيُّ في "السّنن" والضّياء في "المختارة" والطَّبَرَانيُّ في "الكبير". (٢)

٥٣. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً. أخرجه الإمام محمّد بن إسماعيل البخاريّ في "صحيحه" في كتاب التّوحيد. (٣)

٥٤. عن جابر رضي الله تعالى عنه قال: خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ لِلَّهِ سَرَايَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ تَحِلُّ وَتَقِفُ عَلَى مَجَالِسِ الذِّكْرِ فِي الْأَرْضِ، فَارْتَعُوا فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ. قَالُوا: وَأَيْنَ رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: مَجَالِسُ الذِّكْرِ، فَاغْدُوا وَرُوحُوا فِي ذِكْرِ اللَّهِ، وَذَكِّرُوهُ أَنْفُسَكُمْ مَنْ كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَعْلَمَ مَنْزِلَتَهُ عِنْدَ اللَّهِ فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ مَنْزِلَةُ اللَّهِ عِنْدَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ يُنْزِلُ الْعَبْدَ مِنْهُ حَيْثُ أَنْزَلَهُ مِنْ نَفْسِهِ.– أخرجه البزّار والطَّبَرَانيُّ وأبو يعلى والحاكم وغيرهم. (٤)

---

(١) ينظر: المسند للإمام أحمد: ١٢٤٥٣، الأحاديث المختارة (٧: ٢٣٦)، الرقم: ٢٦٧٨، مكتبة النهضة الحديثة – مكة المكرمة، لضياءالدين المقدسي (ت ٦٤٣ هـ)، إتحاف السادة المتقين (٥: ١٩٥)، البحر الزخار المعروف بمسند البزار (١٣: ١٠٢)، الرقم: ٦٤٦٧، لأبي بكر البزار، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، وتخريج أحاديث إحياء علوم الدين (٢: ٧٢٤).

(٢) ينظر: تخريج أحاديث إحياء علوم الدّين (٢: ٧٢٤)، وإتحاف السادة المتقين (٥: ١٩٥).

(٣) صحيح البخاري | كِتَابُ التَّوْحِيدِ | بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ، الرقم: ٧٤٠٥.

(٤) تخريج أحاديث إحياء علوم الدّين (١: ١٢٤). في الأصل بعض اختصار.

٥٥. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: إِنَّ للَّه مَلَائكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُق، يَلْتَمسُونَ أَهْلَ الذِّكْر، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ، تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتكُمْ. قَالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنحَتهِمْ إِلَى السَّمَاء الدُّنْيَا. قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ – وَهُوَ أَعْلَمُ منْهُمْ – مَا يَقُولُ عبَادي؟ قَالُوا: يَقُولُونَ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ. قَالَ: فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْني؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّه، مَا رَأَوْكَ. قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْني؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عبَادَةً وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجيدًا وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبيحًا. قَالَ: يَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ. قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللَّه يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا. قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حرْصًا وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً. قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: منَ النَّار. قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللَّه مَا رَأَوْهَا. قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ :يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ منْهَا فرَارًا وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً. قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ. قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ منَ الْمَلَائكَة: فيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ منْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لحَاجَة. قَالَ: هُمُ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَليسُهُمْ.– أخرجه البخاريّ ومسلم والتّرمذيّ وغيرهم، والبَيْهَقيُّ في "الشّعب"، وعنده وعند الترمذي(١): "سَيَّاحِينَ فِي الأَرْضِ فُضُلًا عَنْ كُتَّابِ النَّاسِ"، وفي آخر الحديث عند غير البخاريّ "هُمُ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ".

(١) في الأصل هكذا: "والبَيْهَقيُّ في الشّعب وابن ماجه، وعندهما"، ولم يخرجه ابن ماجه بهذا اللفظ. والله أعلم.

وفي رواية عند مسلم "إن للَّه تَبارَكَ وَتَعالَى مَلائكَةً سَيَّارَةً فُضُلًا، يَتَّبعُونَ مَجالسَ الذِّكْرِ، فَإذَا وَجَدُوا مَجْلسًا فيه ذكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنحَتهِمْ، حَتَّى يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا"، إلى آخره (١)

٥٦. عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: إنَّ للَّه سَيَّارَةً منَ الْمَلَائكَة يَطْلُبُوْنَ حلَقَ الذِّكْرِ، فَإذَا أَتَوْا عَلَيْهِمْ وَحَفُّوْا بهِمْ، ثُمَّ بَعَثُوْا رَائدَهُمْ إلَى السَّمَاءِ إلَى رَبِّ الْعزَّة تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَيَقُوْلُوْنَ – وَهُوَ أَعْلَمُ بهِمْ: رَبَّنَا أَتَيْنَا عَلَى عبَاد منْ عبَادكَ يُعَظِّمُوْنَ آلَاءَكَ، وَيَتْلُوْنَ كتَابَكَ، وَيُصَلُّوْنَ عَلَى نَبيِّكَ مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ، وَيَسْأَلُوْنَ لآخرَتهمْ وَدُنْيَاهُمْ، فَيَقُوْلُ اللهُ تَعَالَى: غَشُّوْهُمْ رَحْمَتي هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى جَليْسُهُمْ.– أخرجه البزّار، وأبو نُعيم في "الحلْيَة"، وأخرج نحوه أبو داود الطَّيَالسيُّ في "المسند"، وأبو عَوَانَةَ في "صحيحه". كذا في "الإتحاف". (٢)

قال ابن العليم: ومحصّل هذا المجلس المذكور في حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه برقم (٥٥)، وفي حديث أنس رضي الله عنه برقم (٥٦) أنّ هذا المجلس يشتمل على أمور:

١. التّسبيح.

٢. التّكبير.

٣. التحميد.

٤. التّمجيد.

٥. سؤال الجنّة.

---

(١) ينظر: صحيح البخاري: ٦٤٠٨، صحيح مسلم: ٢٦٨٩، سنن الترمذي: ٣٦٠٠، مسند أحمد: ٧٤٢٤، شعب الإيمان للبيهقيّ (٢: ٦٨)، رقم الحديث: ٥٢٨، وتخريج أحاديث إحياء علوم الدّين (١: ١٢٥).

(٢) ينظر: إتحاف السّادة المتّقين (٥: ١٠)، وتخريج أحاديث الإحياء (٢ :٧٢٦).

٦. التّعوّذ من النّار.

٧. تلاوة كتاب الله العزيز، وقد مرّ أنّه أفضل الأذكار، ومرّ أيضًا أنّ الاستماع أفضل من التّلاوة.

٨. الّتي تعظيم آلاء الله تعالى.

٩. سؤال الحسنات في الدّنيا وفي الآخرة.

١٠. الصّلاة على النّبيّ المختار صلّى الله عليه وسلّم.

فمن تأمّل في هذين الحديثين انقدح في ذهنه أنّ مجلس القرآن الشّائع في ديارنا (سِلْهِتْ، إحدى محافظة بنغلاديش) هوالمصداق الكامل لهذين الحديثين، بل جميع ما قدّمنا من أوّل الكتاب إلى هاهنا يدلّ دلالة واضحة على أنّ مجلس القرآن المذكور في السّؤال هو المصداق الكامل لجميع آيات القرآن الكريم، وأحاديث النّبيّ الأمين عليه وعلى آله وأصحابه ألف تحية وتسليم الّتي مرّ تفاصيلها في الأوراق الماضية.

نحن اليوم في السّبعين بعد ثلاث مأة وألف من هجرة سيّد المرسلين، فقد قدّمنا اشتياق ذكر الرّحمن حتّى ظهر فينا من يكره مجالس الذّكر وحِلَقَ الذّكر حتّى قال فيه برأيه ماشاء في مجلس القرآن الكريم مع كونه أفضل مجالس الذّكر، ومع كونه ثابتًا بالكتاب والسّنّة، والكراهة لمثله يدلّ على ضلالة القائل، وشدّة غيّه، وكونه من الصّمّ البكم العمي عن سواء السّبيل. اللّهم اهد قومنا إلى صراطك المستقيم، ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾. (آمين).

٥٧. قال الله تعالى: ﴿لَوْ اَنْزَلْنَا هٰذَا الْقُرْاٰنَ عَلٰى جَبَلٍ لَّرَاَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللهِ ۭ وَتِلْكَ الْاَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُوْنَ﴾(١) وفي "ترجمة القرآن مع

(١) من سورة الحشر: ٢١.

الفوائد التفسيرية" لشيخ الهند محمود حسن – الدِّيْوبَنْدِيِّ – قدّس سرّه العزيز(١) ما معناه: ﴿لَوْ اَنْزَلْنَا هٰذَا الْقُرْاٰنَ عَلٰى جَبَلٍ لَّرَاَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ ۚ وَتِلْكَ الْاَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُوْنَ﴾ أي من المؤسف أن القرآن لم يؤثر على قلوب الناس شيئًا، رغم أنّ تأثير القرآن قوي وشديد لدرجة أنه إذا نزل على الجبل في غلظته وقساوته لو فهم هذا القرآن فتدبر ما فيه لخشع وتصدع من خوف اللّه عزَّ وجلَّ. [الأشعار]

سنتے سنتے نغمہ ہائے محفل بدعات کو * کان بہرے ہوگئے دل بے مزہ ہونے کو ہے!
آؤ سنوائیں تمہیں وہ نغمہ مشروع بھی * پارہ جس کے لحن سے طورِ ہدیٰ ہونے کو ہے
حیف گر تاثیر اس کی تیرے دل پر کچھ نہ ہو * کوہ جس سے خاشعًا متصدّعًا ہونے کو ہے! (٢)

٥٩. قال الحافظ ابن جرير في "تفسيره" عن ابن عبّاس رضي الله عنهما: أنّ أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قالوا: لو حدّثتنا فنزل قوله تعالى الله ﴿اَللّٰهُ نَزَّلَ اَحْسَنَ الْحَدِيْثِ كِتٰبًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ ۖ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُوْدُ الَّذِيْنَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ۚ ثُمَّ تَلِيْنُ جُلُوْدُهُمْ وَقُلُوْبُهُمْ اِلٰى ذِكْرِ اللّٰهِ ۚ ذٰلِكَ هُدَى اللّٰهِ يَهْدِيْ بِهٖ مَنْ يَّشَاءُ ۚ وَمَنْ يُّضْلِلِ اللّٰهُ فَمَا لَهٗ مِنْ هَادٍ﴾(٣) إنّ الله تعالى ذكر أصحاب الخشية بصفات عند سماعهم القرآن

(١) بدأ شيخ الهند محمود حسن الديوبنديّ قدّس سرّه العزيز يكتب الفوائد القرآنية بعد تكميل ترجمة القرآن وبلغ إلى سورة النّساء، لكنّه لم يكمّلها فكمّلها بعده تلميذه المعتمد شيخ الإسلام شبّير أحمد العثمانيّ رحمه الله تعالى (ت ١٣٦٩ هـ).

(٢) ترجمة القرآن لشيخ الهند مع الفوائد العثمانيّة، ص ٧٢٧، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشّريف.

(٣) من سورة الزّمر: ٢٣. كانت الآية في الأصل ناقصة.

الكريم من اقشعرار جلودهم ثمّ لينها، وتلين قلوبهم إلى ذكر الله من بعد ذلك هدى الله يعني توفيق الله إياهم. (١)

وقال المحقّق النَّيْسَابُوْرِيُّ في "تفسيره" قال المفسرون: أراد أنّهم عند سماع آيات العذاب يخافون فتقشعرّ جلودهم، وعند سماع آيات الرّحمة أو تذكّرهم لرأفته تعالى تلين جلودهم. وقال العارفون: إذا نظروا إلى عالم الجلال طاشوا (٢)، وإن راح لهم أثر من عالم الجمال عاشوا، انتهى. (٣)

٦٠. عَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ قَالَ: جَلَسْتُ فِي عِصَابَة منْ ضُعَفَاء الْمُهَاجِرِينَ وَإِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَسْتَتِرُ بِبَعْضٍ منَ الْعُرْي، وَقَارِئٌ يَقْرَأُ عَلَيْنَا، إِذْ جَاءَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ فَقَامَ عَلَيْنَا، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ سَكَتَ الْقَارِئُ، فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: مَا كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ؟ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّه، إِنَّهُ كَانَ قَارِئٌ لَنَا يَقْرَأُ عَلَيْنَا، فَكُنَّا نَسْتَمِعُ إِلَى كتَاب اللَّه. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: الْحَمْدُ للَّه الَّذي جَعَلَ منْ أُمَّتي مَنْ أُمرْتُ أَنْ أَصْبرَ نَفْسي مَعَهُمْ. قَالَ: فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ وَسْطَنَا لِيَعْدِلَ بِنَفْسه فينَا، ثُمَّ قَالَ بيَده هَكَذَا، فَتَحَلَّقُوا وَبَرَزَتْ وُجُوهُهُمْ لَهُ. قَالَ: فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ عَرَفَ منْهُمْ أَحَدًا غَيْري، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: أَبْشرُوا يَا مَعْشَرَ صعَاليك الْمُهَاجرينَ بالنُّور التَّامِّ يَوْمَ الْقيَامَة، تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنيَاء النَّاس بنصْف يَوْم، وَذَاكَ خَمْسُمائَة سَنَة.– أخرجه أبو داود في "سننه" في كتاب العلم. (٤)

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن (٢١: ٢٨٠)، ملخّصا، تحقيق: أحمد محمّد شاكر، مؤسّسة الرّسالة.

(٢) أي اضطرب وخفّ عقلهم.

(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٥: ٦٢٣) باختصار، لنظام الدين النَّيْسَابُوْرِيِّ (ت ٨٥٠ هـ).

(٤) سنن أبي داود | كِتَابٌ: الْعِلْمُ | بَابٌ: فِي الْقَصَص، رقم الحديث: ٣٦٦٦. كان في الأصل بعض اختصار.

تنبيه: اعلم أنّ هاهنا أمرين:

الأوّل: الوَجْدُ ويسمّى بالهاجم أيضًا، وهو الّذي يهجم على الشّخص بلا تكلّف، وقد دلّ على جوازه الكتاب والسّنّة، وعليه إجماع العلماء الجامعيين بين ظاهر الشّريعة وحقيقتها كما تقدّم، فشدّة البكاء عند سماع القرآن، وكذا اقشعرار الجلود والطّمأنينة، ووجل القلوب والخرور، والغشي والصّعق والصّياح: كلّ ذلك إن صدر بلا تكلّف في مجلس القراءة من القارئ أو السّامع فمحمود شرعًا.

قال الإمام النَّوَوِيُّ والإمام الغَزَالِيُّ والإمام الزَّبِيْدِيُّ وغيرهم: والأحاديث في البكاء عند قراءة القرآن كثيرة، وقد صعق جماعات من السَّلَف عند القراءة، ومات جماعة بسببها، إلى آخره. وقد مرّت الدّلائل وأقوال العلماء، وبعض أفعال السّلف على ذلك. (١)

الأمر الثّاني: التّواجد، وهو ما يصدر من الشّخص بتكلّف واختيار منه، فذهب جماعة من العلماء إلى أنّه غير جائز مطلقًا، وذهب جماعة إلى التّفصيل؛ فقالوا إن كان المقصود تعويد النّفس وتمرينها للأحوال السَّنِيَّة فهو جائز لقول النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: إِذَا قَرَأْتُمُ الْقُرْآنَ فَابْكُوْا، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوْا فَتَبَاكَوْا.- أخرجه أحمد وغيره، وقد مرّ. (٢)

وإن كان المقصود إظهار الأحوال الشّريفة رياء وسمعة فهو حرام. والفرق بين الوجد المحمود والتّواجد المذموم أنّ الأوّل يؤثر في قلوب الصّادقين من أهل المجلس أثرًا حسنًا، وفي قلوب المبطلين وحشةً هائلةً، بخلاف الثّاني فإنّ تأثيره بالعكس.

---

(١) ينظر: الأذكار من كلام سيّد الأبرار للنّوويّ، ص ١٠٧-١٠٨، تحقيق: الشّيخ شعيب الأرناؤوط الحنفيّ رحمه الله تعالى.

(٢) سبق تخريجه.

قال الإمام الغَزَالِيُّ والإمام الزَّبِيْدِيُّ في "الإتحاف": اعلم انّ الوجد ينقسم إلى هاجم وإلى متكلّف ويسمى التّواجد، وهذا التّواجد المتكلّف فمنه مذموم وهو الّذي يقصد به الرّياء، وإظهار الأحوال الشّريفة مع الإفلاس منها.

ومنه ما هو محمود وهو التّوصّل إلى استدعاء الأحوال الشّريفة واكتسابها واجتلابها بالحيلة، فإنّ للكسب مدخلا في جلب الأحوال، ولذلك أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من لم يحضره البكاء في قراءة القرآن أن يتباكى ويتحازن، انتهى. (١)

وقال في "الإتحاف": وعلامة الوجد الصّحيح تحسين المجلس الذي هو فيه. وهذا أدناه، وعلامته الصّحيحة أن لا يبقى في المجلس مُحِقٌّ إلّا أنس به ولا مُبطل إلّا استوحش منه، انتهى. (٢)

وقالت الصّوفية: صاحب الوجد أفضل ممّن لم يجد شيئًا من التّأثّر عند التّلاوة، وصاحب الضّبط – وهو صاحب الوجد الكامل الذي يقدر على ضبط وجده من الظّهور– أفضل مطلقًا عن الكلّ.

قال العبد الضّعيف، ابن العليم غفر الله تعالى ذنوبه وستر عيوبه: المختار عندي أنّ البكاء عند تلاوة القرآن أفضل مطلقا من الكلّ، لأنّه المحمود في الكتاب والسّنّة مرارا، وكان ذلك حال الصّديق والفاروق رضي الله عنهما، بل قال الله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩﴾(٣) فصاحب البكاء أفضل من الكلّ، ثمّ صاحب الضّبط، ثمّ صاحب الوجد، ثمّ صاحب التّباكي الخالي عن الرياء، والله تعالى أعلم.

---

(١) إتحاف السّادة المتّقين بشرح إحياء علوم الدّين (٦: ٥٤٨).

(٢) إتحاف السّادة المتّقين بشرح إحياء علوم الدّين (٦: ٥٧٣).

(٣) من سورة مريم: ٥٨.

قال الحافظ ابن القَيِّم رحمه الله تعالى في كتابه "إغاثة اللَّهْفَان" رادًّا على القائلين بجواز سماع الغناء للوجد من المتصوّفة مانصّه: مزامير الشّيطان أحبّ إليهم من استماع سور القرآن، لو سمع أحدهم القرآن من أوّله إلى آخره لما حرك له ساكنًا، ولا أزعج له قاطنًا، ولا أثار فيه وجدًا، ولا قدح فيه من لواعج الشّوق إلى الله زَنْدًا.

فيا أيّها الفاتن المفتون والبائع حظّه من الله بنصيبه من الشّيطان صفقة خاسر مغبون، هلّا كانت هذه الأشجان عند سماع القرآن، وهذه الأذواق والمواجيد عند قراءة القرآن المجيد(١)، وهذه الأحوال السَّنِيَّةُ عند السّور والآيات، إلى آخر ما أطال رحمه الله تعالى. (٢)

---

(١) في الأصل: "قرآن المجيد".

(٢) إغاثة اللّهفان من مصايد الشّيطان لابن القَيِّم (١: ٢٢٤) باختصار. نصه الكامل: ومن مكايد عدوّ الله ومصايده، التى كاد بها من قلّ نصيبه من العلم والعقل والدّين، وصاد بها قلوب الجاهلين والمبطلين: سماع المُكاء، والتَّصْدِيَة، والغناء بالآلات المحرَّمة، الذى يصدّ القلوب عن القرآن، ويجعلها عاكفة على الفسوق والعصيان، فهو قرآن الشّيطان، والحجاب الكثيف عن الرّحمن، وهو رقيّة اللّواط والزّنا، وبه ينال العاشق الفاسق من معشوقة غاية المنى.

كاد به الشّيطان النّفوس المبطلة، وحسّنه لها مكرا منه وغرورا، وأوحى إليها الشُّبَهَ الباطلة على حسنه فَقَبِلَتْ وحيه واتخذت لأجله القرآن مهجورا. فلو رأيتهم عند ذَيّاك السّماع وقد خشعت منهم الأصوات، وهدأت منهم الحركات، وعكفت قلوبهم بكليّتها عليه، وانصبّت انصبابة واحدة إليه، فتمايلوا له ولا كتمايل النُّشْوَان، وتكسّروا فى حركاتهم ورقصهم، أرأيت تكسّر المخانيث والنّسوان؟ ويحق لهم ذلك، وقد خالط خماره النّفوس، ففعل فيها أعظم ما تفعله حُمَيَّا الكؤوس.

فلغير الله، بل للشّيطان، قلوب هناك تمزّق، وأثواب تشقّق، وأموال فى غير طاعة الله تنفق، حتّى إذا عمل السّكر فيهم عمله، وبلغ الشّيطان منهم أمنيته وأمله، واستفزّهم بصوته وحيله، وأجلب عليهم برجله وخيله، وخزّ فى صدورهم خزّا، وأزّهم إلى ضرب الأرض بالأقدام أزّا، فطورا يجعلهم كالحمير حول المدار، وتارة كالذّباب ترقص وسيط الدّيار.

الاختتام

ولنختم هذا المبحث بحديث أبي هريرة رضي الله عنه، فإنّه دالّ على جواز الصّعقة والغشي عن مخافة الله تعالى، ودالّ أيضًا على حرمة الرّياء والسّمعة. عن عقبة بن مسلم حدثّه أَنَّ شُفَيًّا الْأَصْبَحِيَّ حَدَّثَهُ أَنَّهُ دَخَلَ الْمَدِينَةَ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَد اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: أَبُو هُرَيْرَةَ. فَدَنَوْتُ مِنْهُ حَتَّى قَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يُحَدِّثُ النَّاسَ، فَلَمَّا سَكَتَ وَخَلَا قُلْتُ لَهُ: أَسْأَلُكَ بِحَقٍّ وَبِحَقٍّ لَمَا حَدَّثْتَنِي حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَقَلْتَهُ وَعَلِمْتَهُ. فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَفْعَلُ، لَأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَقَلْتُهُ وَعَلِمْتُهُ. ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً فَمَكَثْنَا قَلِيلًا.

فيا رحمتا للسّقوف والأرض من دَكِّ تلك الأقدام، ويا سوأتا من أشباه الحمير والأنعام، وياشماتة أعداء الإسلام بالدين يزعمون أنّهم خواصّ الإسلام قضوا حياتهم لذّةً وطربًا، واتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا. مزامير الشّيطان أحبّ إليهم من استماع سور القرآن، لو سمع أحدهم القرآن من أوّله إلى آخره لما حرك له ساكنًا، ولا أزعج له قاطنًا، ولا أثار فيه وجدًا، ولا قدح فيه من لواعج الشّوق إلى الله زندًا. حتّى إذا تلى عليه قرآن الشّيطان، وولج مزمور سمعه، تفجرّت ينابيع الوجد من قلبه على عينه فجرت، وعلى أقدامه فرقصت، وعلى يديه فصفقت، وعلى سائر أعضائه فاهتزّت وطربت، وعلى أنفاسه فتصاعدت، وعلى زفراته فتزايدت، وعلى نيران أشواقه فاشتعلت.

فيا أيّها الفاتن المفتون، والبائع حظّه من الله بنصيبه من الشّيطان صفقة خاسر مغبون، هلّا كانت هذه الأشجان عند سماع القرآن؟ وهذه الأذواق والمواجيد عند قراءة القرآن المجيد؟ وهذه الأحوال السّنيات عند تلاوة السور والآيات؟ ولكن كلّ امرئ يصبؤ إلى ما يناسبه، ويميل إلى ما يشاكله، والجنسية علّة الضّم قدرًا وشرعًا، والمشاكلة سبب الميل عقلًا وطبعًا.

فمن هذا أين الإخاء والنسب؟ لولا التّعلّق من الشّيطان بأقوى سبب، ومن أين هذه المصالحة التي أوقعت في عقد الإيمان وعهد الرّحمن خللا؟ ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ۚ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠]. – إغاثة اللّهفان من مصايد الشّيطان (١: ٢٠٦– ٢٠٧)، لابن قيّم الجوزية رحمه الله تعالى، العلمية.

ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: لَأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيه رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْبَيْت، مَا مَعَنَا أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ أَفَاقَ فَمَسَحَ وَجْهَهُ فَقَالَ: أَفْعَلُ، لَأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيه رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ، وَأَنَا وَهُوَ فِي هَذَا الْبَيْت، مَا مَعَنَا أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً شَدِيدَةً ثُمَّ مَالَ خَارًّا عَلَى وَجْهِه، فَأَسْنَدْتُهُ عَلَيَّ طَوِيلًا.

ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَة يَنْزِلُ إِلَى الْعِبَاد لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ، وَكُلُّ أُمَّة جَاثِيَةٌ، فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو به رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ، وَرَجُلٌ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّه، وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَال، فَيَقُولُ اللَّهُ لِلْقَارِئ: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عُلِّمْتَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ به آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ. فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ.

وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ. وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ فُلَانًا قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ. وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ الْمَال فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَد؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ. فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ. وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ. وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ. وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّه، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: فِي مَاذَا قُتِلْتَ؟ فَيَقُولُ: أُمِرْتُ بِالْجِهَاد فِي سَبِيلِكَ، فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ.

فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: كَذَبْتَ. وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ. وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ :فُلَانٌ جَرِيءٌ. فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ. ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ عَلَى رُكْبَتِي فَقَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّه تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَة.– أخرجه التّرمذيّ وحسّنه. (١)

---

(١) سنن التّرمذيّ | أَبْوَابُ الزُّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ | بَابٌ: مَا جَاءَ فِي الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ، رقم الحديث: ٢٣٨٢. في الأصل بعض اختصار.

الفائدة: اعلم أنّ الرّياء حرام، وهو يدخل في الصّلاة والصّدقة والذّكر وسائر القربٰى فيحبطها أو ينقصها، إلّا أنّه أمر قلبيّ لا يطّلع عليه، فلا يحكم على أحد أنّه مُرَاءٍ من غير بيّنة ولا برهان، وأنّه لا يترك عمل خوفًا عن رياء المرائين.

فيا أيّها الطّالب! كن صاحب صدق وإخلاص، واطلبه من الله الواهب للأشياء كلّها، ولا تجسّس عن أحد أنّه صاحب رياء، فإنّ الكلّ يُؤَاخَذُ بعمل نفسه ويُجْزٰى عليه، الخير بالخير والشّر بالشّر.

تمت بالخير